شرح

الأصول الثلاثة

الطبعة الثانية

١٤٤٣هـ ـ ٢٠٢٢م

تم الصف والإخراج في

مؤسسة عبدالعزيز الراجحي الوقفية

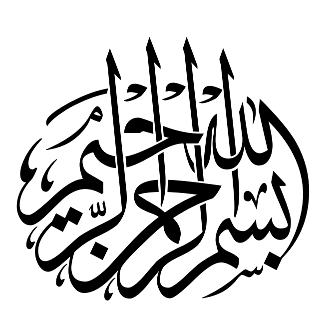
مجموعة مؤلفات فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي (٢٢)

شرح
الأصول الثلاثة

للإمام محمد بن عبدالوهاب ﵀

شرح

عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك علىٰ عبدالله ورسوله نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، أما بعد:

فإن من مؤلفات الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ التي لقيت قبولاً ملحوظاً من علماء الأمة وطلبة العلم هذه الرسالة التي بين أيدينا، وهي «**رسالة الأصول الثلاثة**».

والأصول الثلاثة التي ذكرها رَحِمَهُ اللَّهُ **هنا، كالتالي:**

- **الأصل الأول:** معرفة العبد ربه.
- **الأصل الثاني:** معرفة العبد الإسلام بالأدلة.
- **الأصل الثالث:** معرفة العبد نبيَّه محمد ﷺ.

وهذه الأصول الثلاثة هي التي يُسأل عنها الإنسان إذا وُضِعَ في قبره، وهي التي ذكرها ﷺ في قوله: «**فَإِنَّهُ يَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِ أَصْحَابِهِ إِذَا وَلَّوْا عَنْهُ وَيَأْتِيهِ آتٍ فَيَقُولُ: مَنْ رَبُّكَ؟ مَا دِينُكَ؟ مَنْ نَبِيُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، وَدِينِيَ**

اْلإِسْلَاُم، وَنَبِيِّ مُحَمَّدٌ ﷺ. فَيَنْتَهِرُهُ فَيَقُولُ: مَنْ رَبُّكَ؟ مَا دِينُكَ؟ مَنْ نَبِيُّكَ؟ وَهِيَ آخِرُ فِتْنَةٍ تُعْرَضُ عَلَى الْمُؤْمِنِ.

وَأَمَّا الْكافِرُ والمُنَافِقُ فَيُقَالُ لَهُ مَا كُنْتَ تَقُولُ في هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِى، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُوَلُ النَّاسُ. فَيُقَالُ لَهُ: لَا دَرَيْتَ، وَلَا تَلَيْتَ. ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَاقٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ فَيَصِيحُ صَيْحَةً فَيَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرُ الثَّقَلَيْنِ[1].

وفي رواية: «**يَضِيقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ أَضْلَاعُهُ**»[2] كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة.

فهذه الأصول الثلاثة التي ألفها الإمامُ رسالةٌ عظيمةٌ، ولهذا صارت هذه الرسالة تُحفظ، يحفظها الطلبة الصغار والكبار، ولا يُستغنى عنها، وتُدرّس في المدارس، وفي المساجد، وهي من أول ما يبدأ به طالب العلم، فيما يتعلق بالعقيدة.

- حيث يبدأ بدراسة: «**الأصول الثلاثة، والقواعد الأربع، ونواقض الإسلام، وكشف الشبهات**»، ثم يترقى إلىٰ: «**كتاب التوحيد**»، ثم «العقيدة الواسطية» لشيخ

---

(١) الثقلان: الجن والإنس.

(٢) أخرجه أبو داود: كتاب السنة، بَابٌ فِي الْمَسْأَلَةِ فِي الْقَبْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ، رقم (٤٧٥٣)، وأحمد رقم (١٢٢٧١)، والحاكم: كتاب الإيمان، رقم (١٠٧)، وقال الحاكم صحيح علىٰ شرط الشيخين ووافقه الذهبي، وصححه ابن القيم في إعلام الموقعين (١/ ١٣٧).

الإسلام ابن تيمية، ثم «**العقيدة الطحاوية**»، ثم «**الحموية**»، ثم «**التدمرية**»، ثم كتب السنة مثل: «**أصول السنة**» للإمام أحمد، وكتاب «**السنة**» لابنه عبدالله، وكتاب «**السنة**» للخلال، وكتاب «**شرح السنة**» للبربهاري، وغيرها.

والمؤلف الإمامُ المجدد ﵀ أتى بأسلوب علمي أصيل يفهمه كل أحد، ليس فيه حشو ولا تعقيد، ولا تكرار، ولا زيادة.

وكل كلمةٍ يتكلّم بها يُعقبها بالدليل، لأن الكلام لا يصح إلا بدليل، كما أنه يكون أثبت للمعلومة، وأقوم بالحجة.

فأنا أوصي أبنائي وإخواني بالعناية بهذه الرسالة بتدريسها للصغار والكبار، وتَفهُّم معانيها، فهي مختصرة، وحبذا لو شُرحتْ شرحاً مختصراً، أومتوسطاً، حسب مستوى الدارسين، أما إن أراد الإنسان أن يتوسع في شرحها فسيأتي شرحها في مجلدات؛ لما فيها من العلم والأدلة، المختصرة الألفاظ، الغنية بالمعاني.

وصلى الله وسلم علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.



كتبه

عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي





قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«اعْلَمْ [١] رَحِمَكَ الله [٢]».



الشَّرْح

[١] يقول رَحِمَهُ اللهُ في مطلع هذه الرسالة: «اعْلَمْ» كلمة اعلم تعني: تيقن واجزم، فالعلم هو: حكم ذهن الجازم، وهو ما يتيقّنه الإنسان، لأن المدركات أربعة أنواع: العلم، الشك، الظن، الوهم. فالشيء الذي تتيقن فيه يُسمّى: علماً. وأما الشيء الذي تشك فيه وتتردد؛ فإن كان متساوي الطرفين متردداً بين اثنين لا يترجح أحدهما علىٰ الآخر يسمى: شكاً. وإن كان الأمر متردداً بين اثنين؛ فالراجح: يُسمى: ظناًّ، والمرجوح: يسمى: وهماً[١].

[٢] «رَحِمَكَ الله»؛ هذه جملة خبرية، والمقصود منها الدعاء، والمعنى: يرحمك الله[٢].

- وهذا من نصحه رَحِمَهُ اللهُ، يعلّمك ويدعو لك

(١) انظر: معالم أصول الدين (١/ ٢٢)، ورفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب (١/ ٢٧٥).

(٢) قال ابن نجيم في البحر الرائق (٤/ ١٤٠): «رَحِمَك اللَّهُ أُخْرِجَ فِي صُورَةِ الْخَبَرِ ثِقَةً بِالِاسْتِجَابَةِ كَأَنَّ الرَّحْمَةَ وُجِدَتْ فَهُوَ يُخْبِرُ عَنْهَا».

بالرحمة، والعلماء أنصح الناس للناس؛ كما قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رسالة الرد علىٰ الزنادقة: «يحيون بكتاب الله الموتى، ويُبصِّرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه! وكم من ضال تائه قد هدوه! فما أحسن أثرهم علىٰ الناس وأقبح أثر الناس عليهم!!»[(١)] أي: أن أثر العلماء علىٰ الناس حسن؛ يُعلّمونهم ويُرشِدونهم، وينقذونهم من الجهالات، بينما الناس يؤذونهم.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أهل العلم: «هم من اهْتَدَى بِهِمُ الْحَائِرُ، وَسَارَ بِهِمُ الْوَاقِفُ. وَاسْتَقَامَ بِهِمُ الْحَائِدُ، وَأَقْبَلَ بِهِمُ الْمُعْرِضُ، وَكَمُلَ بِهِمُ النَّاقِصُ، وَرَجَعَ بِهِمُ النَّاكِصُ، وَتَقَوَّى بِهِمُ الضَّعِيفُ»[(٢)].



(١) انظر: الرد علىٰ الزنادقة والجهمية (١/ ٥٥).

(٢) انظر: مدارج السالكين (٣/ ٢٨٤).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«أنهُ يَجبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ[١]:

* الأُولَى: الْعِلْمُ: وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّه ﷺ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلَامِ بِالْأَدِلَّةِ[٢]».

الشَّرْحُ

[١] أي: اجزم وتيّقن ـ ولا تشك ولا تتوهم ـ أنه يجب عليك وجوباً ـ وليس نافلة ـ أن تتعلم هذه الأربعة مسائل، فإن لم تتعلمْها فإنك آثمٌ، لأن الواجب هو ما يثاب فاعله ويُعاقب تاركه[١].

فإذا تعلّمت هذه المسائل الأربعة فأنت مُثاب، وإذا تركتها فأنت مُعاقب، لأن من ترك تعلمَها فهو مُذنب عاص، لمخالفته الواجب؛ ثم ذهب الإمام يذكر هذه المسائل الأربع إجمالاً فقال:

[٢] **أولاً**: «العلم»: ـ فسره رَحِمَهُ اللهُ؛ بأنه معرفة الله

---

(١) انظر البحر المحيط في أصول الفقه (١/ ١٤٠)، والتحبير شرح التحرير (٢/ ٨١٥)، والتقرير والتحبير (٢/ ١٥٢)، والمحصول للرازي (١/ ١١٨).

ﷻ، ومعرفة نبيه ﷺ، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة، هذا واجب عليك.

- أما العلم بالله ﷻ فهو: العلم بأسمائه وصفاته، وأن الله ﷻ موجود، وأنه فوق العرش، وأن له الأسماء الحسنى والصفات العلىٰ التي سمى بها نفسه، وسماه بها رسوله ﷺ.

والعلم بأن الله هو الرب وغيره مربوب، وأنه الخالق وغيره مخلوق، وأنه المالك وغيره مملوك، وأنه المدبِّر وغيره مُدبَّر، والعلم بأن الله هو المستحق للعبادة، لا يستحقها غيره، **والعبادة هي**: الأوامر والنواهي، فتفعل الأوامر وتترك النواهي، وكذلك الْعِبَادَة «هي: اسْم جَامع لكل مَا يُحِبهُ الله ويرضاه من الْأَقْوَال والأعمال الْبَاطِنَة وَالظَّاهِرَة»[(١)]. فإن أنت عرفت هذا تكن عرفت الله ﷻ فالله سبحانه وتعالى هو المستحق للعبادة كلها، كالصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والدعاء، والذبح، والنذر، والاستعاذة، والاستغاثة، والتوكل، والخوف، والرجاء، وهذه الأنواع سيبينها المؤلف رحمه الله.

ومعنى ـ علمُك أن الله مستحق لها ـ أي: تعلم أنها حقه، ولا يجوز صرفها لغيره، فإن الله لا يرضى أن يصرفها

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ١٤٩).

العبد لغيره، لا لملَكٍ مقرَّب، ولا لنبيٍّ مرسلٍ، وهما أشرف الخلق جميعاً، فلا تصرف العبادة لا لجبريل؛ ولا لغيره من الملائكة، ولا لمحمد ﷺ ولا لغيره من الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، إلا أن الرسول له حقٌّ وهو الطاعة والمحبة، والتعظيم، لكن ليس له حق في العبادة أو القصد بها، وبهذا تكون عرفت الله سبحانه وتعالى.

- وأما العلم بالنبي ﷺ فهو: أن تعرف أن نبيه محمدُ بن عبدالله ابن عبدالمطلب بن هاشم، وهاشم من قريش، وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل ـ علىٰ نبينا وعليه أفضل الصلاة والتسليم ـ. وتعرف أنه بُعِثَ بمكة، كما سيبينه المؤلف رحمه الله.

- وأما العلم بدين الإسلام فهو: أن تعرف دين الإسلام بالأدلة، لا بالتقليد، وأنه: الاستسلام لله ـ تعالىٰ ـ بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك، فالإسلام سُمّي الإسلام لما فيه من الاستسلام والانقياد لله، وتطيع أمره، وتتبرأ من الشرك وأهله.



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«* الثَّانِيَةُ: الْعَمَلُ بِهِ [١]».

الشَّرْح

[١] **ثانياً**: «**العمل به**»: أي: العمل بما سبق من العلم، فإنه لا يكفي كونك عرفت الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، وكونك عرفت نبيه ﷺ وعرفت دين الإسلام، بل لابد أن تعمل أيضاً بمقتضى هذا العلم.

- عملك بمقتضى العلم بربك هو: عملك بمقتضى علمك بأسمائه وصفاته، فهو أن تثبت له الأسماء الحسنى، وتُثبت له الصفات العُلى، وتعتقد أنه الخالق والمدبر، الرازق، المالك، الرب، وتعتقد أنه مستقل بالعبادة، هذا هو العمل، وتعتقد بقلبك، وتعمل بجوارحك، فتصرف العبادة لله كالصلاة والصيام، والزكاة، والحج.

- عملك بمقتضى علمك بنبيك ﷺ هو: أن تعتقد أن نبيَّك محمدٌ ﷺ، ووجوب اتباعه وتعظيمه ومحبته، وتصديق أخباره، وتنفيذ أوامره واجتناب نواهيه، والعمل علىٰ تحقيق هذا الاتباع في أعمالك كلها.

- عملك بمقتضى معرفتك بدين الإسلام هو: أن

تستسلم لله ﷻ بالتوحيد وتنقاد لله بالطاعة، باتباع أوامره واجتناب نواهيه، وتتبرأ من الشرك وأهله.

فإن أنت عملت بهذا تكون قد حققت الأمر الثاني، وهو العمل بمقتضى علمك بالله، ونبيه ﷺ، ودين الإسلام بالأدلة.



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«* الثَّالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ[١].

* الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَى الأَذَى فِيهِ[٢]».

الشَّرْحُ

[١] **ثالثاً**: «الدعوة إليه»: إذا مَنَّ الله عليك بالعلم والعمل، فإنه يجب عليك أن تدعوَ الناس إلىٰ هذا الخير، الذي مَنَّ الله عليك به، فتدعو الناس إلىٰ الإيمان بالله، والإيمان بأسمائه، وصفاته، وأفعاله، والإيمان بربوبيته، والإيمان بأنه يستحق العبادة.

وتدعو إلىٰ الإيمان بمحمد ﷺ والاعتقاد بأنه الرسول وأنه خاتم النبيين، فلا نبي بعده، وأنه الرسول إلىٰ الثقلين الجن والإنس.

وتدعو إلىٰ دين الإسلام، وتدعو الناس إلىٰ أن يُوحدوا الله، وينقادوا له بالطاعة، ويتبرؤوا من الشرك وأهله، ويمتثلوا الأوامر ويجتنبوا النواهي، وبذلك تكون دعوت إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

[٢] **رابعاً**: «الصبر علىٰ الأذى فيه»: يعني: إذا عَلِمت ثم عَمِلت، ثم دعوت الناس إلىٰ التوحيد، فإنه لابد أن

يُصيبك أذى، لأن الذي يدعو الناس يقف أمامهم، ويقف أمام رغباتهم وشهواتهم؛ فيمنعهم من أن يُباشِروا الأعمال التي يهوَوْنَها، فإذا منعهم آذوه؛ إما بالقول أو بالفعل.

- فاصبر علىٰ الأذى الذي يصيبك بالقول بالسب أو الشتم أو الاعتداء باليد، ولابد أن تصبر فإذا لم تصبر انقطعت، فتصبر علىٰ الذي يصيبك من سِباب وشَتم وضرب وسجن.

- والأنبياء عليهم السلام - وهم القدوة والأُسوة - أوذوا علىٰ هذا فصبروا، نوح؛ مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، وهم يُؤذونه، ويتهمونه بالجنون تارة، وبالسحر تارة؛ وكذلك هود، وصالح، وموسى، وعيسى، وشعيب، ونبينا - عليه وعليهم أفضل الصلاة والتسليم - أصابه ما أصابه، وُضع السلا[1] علىٰ رقبته عليه الصلاة والسلام[2]، وخنقه بعض الكفار، حتى جاء أبو بكر وذب عنه[3]، وحاولوا قتله ﷺ مرات.

(١) السلا: لفافة الولد من الدواب والإبل، وهو من الناس المشيمة. لسان العرب (٦/ ٣٤٩).

(٢) أخرجه مسلم: كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ مَا لَقِيَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ أَذَى الْمُشْرِكِينَ وَالْمُنَافِقِينَ، رقم(١٧٩٤).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب أصحاب النبي ﷺ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «**لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا**»، رقم (٣٦٧٨).

- فطريق الدعوة ليست مفروشة بالورود، ولا بد من الصبر، والذي لا يصبر ينقطع، ولهذا قال الله ﷻ للنبي ﷺ: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

الخلاصة:

الأمور الأربعة التي يجب علىٰ المسلم أن يتعلمها:

١- **العلم.**

٢- **العمل به.**

٣- **الدعوة إليه.**

٤- **الصبر علىٰ الأذى فيه.**



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«والدليل [١]، قَوْلُهُ تَعَالَى: بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ [٢]: ﴿وَٱلْعَصْرِ [٣] ١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ [٤] ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟[٥] وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ[٦] وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ[٧] وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ [٨] ٣﴾ [العصر: ١-٣]».

الشَّرْح

[١] لما حكم المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ علىٰ تعلم هذه الأمور بالوجوب، فقد ذهب يستدل علىٰ ذلك.

[٢] هذه السورة هي الدليل علىٰ المسائل الأربعة التي ذكرها المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ، وأنه يجب علىٰ الإنسان: أن يتعلّمها، ويعمل بها، ويدعو إليها، ويصبر عليها.

[٣] في هذه الآية يقسم الله بالعصر، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ١﴾ الواو: واو القسم، والقسم للتأكيد، والعصر: هو الزمان ـ علىٰ الصحيح ـ[1]؛ لأنه محل الزوال، واكتساب الحسنات والسيئات، أي: محل العمل. والعصر هو المقسم به.

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ١٧٨) والدر المنثور (٨/ ٦٢٢).

[٤] قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢﴾: هو المقسم عليه، و﴿إِنَّ﴾ للتأكيد، واللام في ﴿لَفِى﴾ للتأكيد، فيصير فيها ثلاثة مؤكدات، والألف واللام في ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾ للجنس، أي: جنس الإنسان في خسارة وفي هلاك[1]. فأقسم الله ﷻ علىٰ هذا الأمر، وهو الصادق وإن لم يُقسم، ولكنْ لتأكيد المقام.

قال الشيخ السعدي ﵀: «والخسار مراتب متعددة ومتفاوتة: قد يكون خساراً مطلقاً، كحال من خسر الدنيا والآخرة، وفاته النعيم، واستحق الجحيم. وقد يكون خاسراً من بعض الوجوه دون بعض، ولهذا عمم الله الخسار لكل إنسان، إلا من اتصف بأربع صفات»[2].

وهي قوله ﷻ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾، فهؤلاء هم الرابحون، استثناهم الله من الخُسران.

[٥] أي: الإيمان الصادق المبنيُّ علىٰ علم، فليس هناك إيمان صحيح إلا بالعلم، وهذا العلم هو المسألة الأولى.

[٦] هذه هي المسألة الثانية؛ أي: العمل بالعلم،

(١) انظر: تفسير البغوي (٨/ ٥٢٢)، وتفسير ابن كثير (٨/ ٤٨٠).
(٢) انظر: تفسير السعدي (٩٣٤).

والصالحات: هي أداء الواجبات والمستحبات وترك المحرّمات والمكروهات.

[٧] هذه هي المسألة الثالثة، أي: الدعوة إلىٰ الله، ـ ووصفها ـ بأنها الدعوة إلىٰ الحق.

[٨] وهذه هي المسألة الرابعة، أي: الصبر علىٰ ما سبق من المسائل الثلاث.

فالناس كلهم في خسارة وهلاك؛ إلا من اتصف بهذه الصفات الأربع التي هي: الإيمان المبني علىٰ العلم، والعمل، والتواصي بالحق وهو الدعوة إلىٰ الله، والتواصي بالصبر؛ فمن استكمل هذه الصفات وأقامها واستقام عليها كَمُلَ ربحه، فهو الرابح، ومن ضيّعها كمل خسرانه، ومن نقص شيئاً منها فاته من الربح، وحصل علىٰ شيء من الخسران بقدر نقصه من هذه المسائل.



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«قَالَ الشَّافِعِيُّ رحمه الله تَعَالَى: لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلَّا هذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ[(١)] [١]».

الشَّرْح

[١] أي: لو ما أنزل الله علىٰ خلقة حجةً إلا هذه السورة لكفتهم، لما فيها من إقامة الحجة عليهم، ففيها بيان أن الرابحين هم الذين يتصفون بهذه الصفات، وأن من فقد هذه الصفات فهو خاسر.

وليس معنى ذلك أنها تكفيهم في تفصيل أمور الشريعة، إذ أن التفاصيل لابد منها، لمعرفة أحكام الصلاة، وأحكام الصيام، وأحكام الحج وغير ذلك من العبادات والمعاملات، لكن مقصود الشافعي رَحِمَهُ اللهُ أنها تكفيهم في إقامة الحجة عليهم، لأن هذه السورة أوجبت علىٰ الإنسان أن يتعلّم ويعمل ويدعوَ ويصبر، وَبّينت أن هذه الصفة صفة الرابحين، وأن من فقدها فهو الخاسر. وقد أنزل الله عَزَّ وَجَلَّ غير هذه السورة من الحجج ما لا حصر

---

(١) انظر: تفسير الشافعي (٣/ ١٤٦١)، وتفسير ابن كثير (١/ ٢٠٣).

له في كتابه وفي سنة رسوله ﷺ.

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذه السورة ميزان للأعمال يزن المؤمن بها نفسه، فيبين له بها ربحه من خسرانه»(١).



(١) انظر: لطائف المعارف (٣٠٠).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَقَالَ البُخَارِيُّ [١] رحمه الله تَعَالَى: (بَابُ: الْعِلْمِ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ[٢])».

الشَّرْحُ

[١] البخاري هو: الإمام أبو عبدالله محمد بن إسماعيل المتوفى سنة ست وخمسين ومائتين من الهجرة، صاحب الصحيح، إمام من أئمة أهل السنة والجماعة، المُحدّث المشهور[١]. كتابه: (صحيح البخاري) أصح الكتب بعد كتاب الله عند المحققين، وعند كثير من أهل العلم وأهل الحديث، وبعض العلماء قدّم صحيح مسلم لكن الذين قدموا صحيح مسلم إنما قدّموه من جهة الصناعة الحديثية ومن جهة الترتيب، وإلا فإن صحيح البخاري أصح الكتب، ومسلم تلميذ البخاري.

[٢] أي: أن العلم مقدّم علىٰ القول والعمل، فبداية يجب التعلم، ثم من بعده القول والعمل، فالعلم إمام

(١) انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٩١)، وتهذيب التهذيب (٩/ ٤٧)، والوفيات (١/ ١٨٠)، وتاريخ بغداد (٢/ ٣٢٢)، وهدى الساري مقدمة فتح الباري (١/ ٤٧٩).

لهما، لأن الإنسان إذا عَمِل، بدون علم صار عملُه في ظلام، وصار في ضلال، فالله ﷻ قسّم الناس في سورة الفاتحة ـ وهي أم القرآن ـ إلىٰ ثلاثة أقسام، فبعد أن حَمِدَ ﷻ نفسه وأثنى عليها، ومجّدها، فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفَاتِحَة: ٢-٤]، ثم بيّن أنه مستحقٌ للعبادة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفَاتِحَة: ٥]، ثم جاء بعدها الدعاء، هذا الدعاء العظيم، أعظم دعاء وأجمعه وأفضله وأنفعه.

﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفَاتِحَة: ٦-٧]؛ **فالله ﷻ قسّم خلقه إلىٰ ثلاثة أقسام:**

- قسم أنعم عليهم: وهم الذين منَّ الله عليهم بالعلم والعمل.

- قسم مغضوب عليهم: وهم الذين يعلمون ولا يعملون.

- قسم ضالون: وهم الذين يعملون بدون علم.

لذا فنحن نسأل الله ﷻ في كل صلاة أن يهدينا الصراط المستقيم: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ وهم المؤمنون العاملون بما

يعلمون ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ أي: الذين عَلِموا ولم يَعْمَلوا، فصاروا غاوين .﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ أي: ولا طريق الضالين الذين هم في جهل وضلالة.

- وحاجة الإنسان إلىٰ هذا الدعاء أعظم من حاجته إلىٰ الطعام والشراب، وأعظم من حاجته إلىٰ النفَس الذي يتردد بين جنْبيه، لأن الإنسانَ إذا فقد الطعامَ والشرابَ والنفسَ مات الجسدُ، والموتُ لابد منه إن عاجلاً أو آجلاً، ولا يضر الإنسانَ موتُ الجسد إذا كان مستقيماً علىٰ طاعة الله، وكان قلبه سليماً حياً، لكن إذا مات قلبه بفقد الهداية فإنه يموت قلبه وروحه وصار إلىٰ النار.



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَٱعۡلَمۡ [١] أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ[٢] لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩] فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ القَوْلِ وَالْعَمَلِ.

اعْلَمْ - رَحِمَكَ الله - أَنَّه يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ تَعَلُّمُ هَذِهِ الثَّلاثِ مَسَائِل، والْعَمَلُ بِهِنَّ:[٣]».

الشَّرْح

[١] في هذه الآية قال سبحانه وتعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ﴾، وهذا دليل العلم.

[٢] هذا دليل العمل، الذي أشار إليه الإمام بقوله: «فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ القَوْلِ وَالْعَمَلِ».

- سُئِلَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ فَضْلِ الْعِلْمِ، فَقَالَ: «أَلَمْ تَسْمَعْ إِلىٰ قَوْلِهِ حِينَ بَدَأَ بِهِ فَقَالَ: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ثُمَّ أَمَرَهُ بِالْعَمَلِ بعد ذلك فَقَالَ: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾»(١).

[٣] أي: أنه يجب علىٰ كل مسلمٍ ومسلمةٍ تعلّم هذه

(١) انظر: حلية الأولياء (٧/ ٢٨٥).

الثلاث مسائل والعمل بهن، فإذا لم يتعلّمهن صار آثًما عاصياً، لأن الواجب ـ كما مر بنا ـ هو ما أثيب فاعله، وعُوقِبَ تاركه، كالصلاة، فمن صلى أثابه الله، ومن لم يُصلِّ عاقبه الله، كذلك بر الوالدين، فمن برَّ والديه أثابه الله، ومن لم يبر والديه عاقبه الله.

- فهذه المسائل الثلاث يجب علىٰ كل مسلم ومسلمة أن يتعلّمهن وأن يعمل بهن، فمن تعلّمهن وعَمِلَ بهن أثابه الله، ومن لم يتعلّمهن ولم يعمل بهن، أو تعلمهن ولم يعمل بهن فهو مُعاقَب آثم، فتعلم هذه المسائل فرض علىٰ الإنسان كما أنه فُرض عليه أن يتعلم المسائل الأربعة الأوَل: «العلم بالله ﷻ وبنبيه ﷺ وبالإسلام، والعمل بمقتضى هذا العلم، والدعوة إليه، والصبر علىٰ الأذى»، إذن فتعلُّم هذه المسائل فرضٌ وليس نافلةً، يتعلّمهن ثم يعمل بهن.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«* الأُولَى: أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا، وَرَزَقَنَا، وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلاً، بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولاً، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ[١]؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ[٢] رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ[٣] كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا[٤] ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا[٥] ﴿١٦﴾﴾ [المُزّمل: ١٥-١٦]».

الشَّرْح

[١] **بيان المسألة الأولى**: أن تعلم أن الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملاً، بل أرسل إلينا رسولاً، وهذا الرسول جاء بالأوامر والنواهي، وأنزل الله عليه القرآن، وأعطاه السنة وهي وحي ثانٍ، فمن أطاع هذا الرسول ممتثلاً الأوامر دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار، لا بد أن تعلم؛ أنك مخلوقٌ لهذا، ما خُلِقت كالبهيمة تأكل وتشرب، بل مخلوق لتعمل.

[٢] وهذا خطاب لهذه الأمة، أي إنا أرسلنا إليكم يا أمة محمد.

[٣] وهو محمد ﷺ.

[٤] أي: كما أرسل الله تعالىٰ إلىٰ فرعون ـ الطاغية في زمانه ـ رسولاً هو: موسى ﷺ.

[٥] أي: عصى فرعون موسى عليه السلام فأخذه الله سبحانه وتعالى أخذاً شديداً، فقد أهلكه الله وأتباعه، وأغرقهم، فصارت أجسامهم إلىٰ الغرق، وأرواحهم إلىٰ النار والحرق ـ نعوذ بالله ـ من غضبه وعقابه.

- وفي هذه الآية دليلٌ علىٰ أن من لم يُطع الرسل فإن الله يأخذه ويُعاقبه، كما عاقب الله تعالىٰ فرعون.



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«* الثَّانِيَةُ: أَنَّ الله لا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ[١] فِي عِبَادَتِهِ [٢]، لا مَلَكٌ مُقَرَّب، وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا [٣]﴾ ﴿١٨﴾ [الجنّ: ١٨]».

الشَّرح

[١] **بيان المسألة الثانية**: أن نعلم أن لله سبحانه وتعالى حقًّا، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم له حق، والناس لهم حق. فلا تخلط بين الحقوق، فالله سبحانه وتعالى حقه العبادة وحده، والعبادة لا تصح إلا بالإخلاصِ لله، والمتابعة لنبيه صلى الله عليه وسلم، فالعبادة لا تصح إلا بهذين الشرطين: الإخلاص، والمتابعة؛ كما قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عِمرَان: ٣١]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

[٢] العبادة هي الأوامر والنواهي.

وتعريفها: «اسْم جَامع لكل مَا يُحِبهُ الله ويرضاه من الْأَقْوَال والأعمال الْبَاطِنَة وَالظَّاهِرَة».

- والعبادة هي: غاية التعظيم، فلا يستحق إلا من له غاية الإنعام: الله الخالق الرازق، المحيي المميت، المثيب المعاقب، الذي منه أصول النعم وفروعها، فإذا وُجِّهت إلىٰ غيره تعالىٰ الله علواً كبيراً أن تكون هذه الصفة لغيره، لم يكن إلا ظلماً وعتواً وغياً وكفراً وجحوداً، وخروجاً عن الطريق الصحيح إلىٰ السبل المنحرفة، فما ظنك بمن وجه عبادته إلىٰ جماد ليس به حس ولا شعور؟[(١)].

فالصلاة من العبادة لذا فإنها حق الله وحده، وهو لا يرضى أن تصلي للنبي ﷺ، أو تصلي لجبريل، أو للقمر، وكذلك الصوم والحج فلا تصوم أو تحج للرسول، وكذلك الدعاء لا يرضى أن تدعوه وتدعو الرسول، وما يرضى أن تذبح له وتذبح للرسول، وما يرضى أن تتوكل عليه وتتوكل علىٰ الرسول.

[٣] كلمة: ﴿أَحَدًا﴾ نكرة سبقها نهي، والقاعدة عند الأصوليين أن النكرة إذا سبقها نهي أو نفي فإنها تَعمّ، ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ عامة، فكل ما سوى الله أحد، لا تدع مَلَكًا ولا نبيًّا، ولا بشراً، ولا حجراً، ولاجنًّا، ولا

(١) تفسير الإمام الشافعي (٣/ ١٤٦١)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٨/ ١٥٢)، وتفسير ابن كثير (١/ ٢٠٣).

جماداً، ولا غير ذلك.

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [الأنعام: ١٣٦].

وقال ﷺ: «**قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»(١).



---

(١) أخرجه مسلم: كِتَابُ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ، بَابُ مَنْ أَشْرَكَ فِي عَمَلِهِ غَيْرَ اللهِ، رقم (٢٩٨٥).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«* الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ، وَوَحَّدَ اللهَ لا يَجُوزُ لَهُ مُوَالاةُ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيب[١]».

الشَّرْح

[١] **بيان المسألة الثالثة:** يعني من أطاع الرسول عليه الصلاة والسلام وامتثل أوامره واجتنب نواهيه، وصَدَّقَ أخباره، ووحد الله وأخلص له العبادة وحده، وكانت العبادة موافقة لشرع الله، وصبر علىٰ ذلك، لا يجوز له موالاة من حادَّ الله ورسوله، والموالاة تعني المحبة، والمحادُّ لله عَزَّ وَجَلَّ ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هو المشاق لهما المفارق للدين، وهو الكافر، فالكافر لا يجوز موالاته ولا محبته.

وهذا من أصول الدين، وهو الولاء والبراء، فالمسلم الموحد لا يحب الكافر ولا يوادّه؛ بل يُبغِضُه ولو كان أقرب قريب، حتى ولو كان أباه أو أمه، أو أخاه بالنسب، يُبغضه ديناً ولا يحبه ويعتقد أنه عدوٌّ له؛ فقد قال الله تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [المُمتَحنَة: ١].

قال البغوي: «أَخْبَرَ أَنَّ إِيمَانَ الْمُؤْمِنِينَ يَفْسُدُ بِمُوَادَّةِ الْكَافِرِينَ» أي من أحبه لدينه «وَأَنَّ مَنْ كَانَ مُؤْمِنًا لَا يُوَالِي مَنْ كَفَرَ، وَإِنْ كَانَ مِنْ عَشِيرَتِهِ»(١).

- من أحب كافرا لدينه فمعناه أنه أحب الكفر.

۞ الكفار علىٰ قسمين:

- **القسم الأول**: المحاربون، أي: الذين يحاربوننا، وهؤلاء يُقاتَلون، وليس بيننا وبينهم إلَّا القتال، لا يُطعَمون ولا يُسقوْن، بل يترك أحدهم إن كان عطشان أو جائعاً حتى يموت، لأنه عدوٌّ لك ويقاتلك.

- **القسم الثاني**: غير المحاربين، وهم الذميون، بيننا وبينهم عهد، كأن يدخلوا البلاد بأمان أو عهد، فلهم ذمة، لا يُقاتلون ولا يُخرجون من ديارنا، فهؤلاء لا بأس أن نبرهم، ونكسوهم، ولكن لا نُحبهم محبة دينيةً؛ بل نبغضهم ونعتقد أنهم كافرون وأنهم أعداء الله، ونتبرأ من دينهم، لكن نُحسِن إليهم، ونُطعمهم ونسقيهم، ونعاملهم معاملةً حسنةً، وقد يكون هذا من أسباب دخولهم في الإسلام.

قال الله ﷻ في كتابه العظيم: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ

---

(١) انظر: تفسير البغوي: (٥/ ٥٠).

إِلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الممتحنة: ٨-٩].



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ [١] وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ [٢] أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ [٣] وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ [٤] وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ [٥] رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ [٦] وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ [٧] أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ [٨] أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة: ٢٢]».

الشَّرْحُ

[١] هذه الآية من سورة المجادلة دليل علىٰ ماسبق، فلا تجد مؤمناً يودُّ الكافر ويحبه، فإذا ودَّ الكافر وأحبه صار مثله، إذا أحب الكافر لكفره صار كافراً مثله ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ﴾ [المائدة: ٥١]؛ ومن أحبهم لدينهم فهو منهم.

[٢] أي: لا يحب أحدهم الكافر ولو كان أباه، ولو كان ابنه، ولو كان أخاه، ولو كان من عشيرته، هؤلاء المؤمنون لا يوادون إلا المؤمنين.

[٣] لأنهم يوالون في الله، ويُعادون في الله، فثبت في قلوبهم الإيمان.

[٤] أيدهم بروح منه؛ حيث استقاموا علىٰ طاعة الله، وأحبوا في الله، وأبغضوا في الله، فأيدهم سبحانه بملائكته وبما جعل الله في قلوبهم من الإيمان.

[٥] هذا ثوابهم وجزاؤهم، وقوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ﴾ معناه: لا يرحلون عنها ولا يفارقونها.

[٦] فيه: إثبات الرضا لله، فرضي الله عنهم حيث أنهم موحدون مخلصون له بالعبادة.

[٧] حيث أنه ﷻ أحلّهم دار كرامته.

[٨] هم أولياء الله وأحبابه. وأما حزب الشيطان فهم الذين يوادُّون الكفرةَ ويحبونهم، وهم الخاسرون، لما بذلوا من المودة للكافرين، فشابهوهم، وانتفى عنهم الإيمان.



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«اعْلَمْ - أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ [١] - أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ [٢]، مُخْلِصاً [٣] لَهُ الدِّينَ وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ وَخَلَقَهُم لَها؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦] وَمَعْنَى ﴿يَعْبُدُونَ﴾: يُوَحِّدُونِ، وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ التَّوْحِيدُ، وَهُوَ: إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ، وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْه الشِّرْكُ، وَهُوَ: دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النِّسَاء: ٣٦].

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الأُصُولُ الثَّلاثَةُ التي يَجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ مَعْرِفَتُها؟

فَقُلْ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّداً ﷺ».

الشَّرْحُ

[١] أي: أسأل الله لك الرشاد، أي: أن يرشدك الله لطاعته ويوفقك لها.

[٢] الحنيفية ملة إبراهيم، هي: عبادة الله مع

الإخلاص، وسميت الحنيفية من الحنف والميل[(١)]؛ لكونها مائلةً عن الشرك إلىٰ التوحيد، ولهذا تسمى: الملة العوجاء، لأنها مائلة عن الشرك إلىٰ التوحيد، فهي بالنسبة للتوحيد ملة مستقيمة، وبالنسبة للشرك ملة حنيفة مائلة عنه، كما قال ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٦١﴾ [الأنعام: ١٦١].

إذن: فالحنيفية سميّت حنيفية، لكونها مائلة عن الشرك إلى التوحيد والحنيف هو المسلم ﴿حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾ [آل عِمرَان: ٦٧]، قال ﷺ: «**أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللهِ الحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ**»[(٢)].

[٣] **الإخلاص هو**: أن تعبد الله ولا تعبد غيره، لا تشرك معه غيره، لأن المشرك يعبد الله، فالمشركون الذين بُعِث إليهم الرسول ﷺ يُصلّون ويصومون ويتصدّقون، ويحجون ويذكرون الله كثيراً، لكنهم يشركون مع الله غيره، يدعون الله ويدعون معه غيره، يذبحون لله ويذبحون لغيره، ينذرون لله وينذرون لغيره.

---

(١) قال ابن منظور في لسان العرب (٩/ ٥٧): «وحَنَفَ عَنِ الشَّيْءِ وتَحَنَّفَ: مَالَ. والحَنِيفُ: المُسْلِمُ الَّذِي يَتَحَنَّفُ عَنِ الأَدْيانِ أَي يَمِيلُ إِلَى الْحَقِّ».

(٢) علَّقه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان. بَابُ الدِّينُ يُسْرٌ، وَقَوْلُ النبي ﷺ: «**أَحَبُّ الدِّينِ إِلىٰ اللَّهِ الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ**» (١/ ٢٣).

وبما أن العبادة حق لله وحده، فلابد من الإخلاص فيها بأن تُوَجَّه له ـ دون غيره، وهذا هو الفرق بين دين المشركين ودين المسلمين.

ما الحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام؟

الجواب: فسر المؤلف رحمه الله الحنيفية بأنها أن تعبد الله، بأن تصرف العبادة لله، تعبد الله بالصلاة، وتعبده بالصوم، والحج، والدعاء، والذبح، والنذر، وببر الوالدين، وصلة الرحم، والإحسان إلىٰ الجيران، والجهاد في سبيل الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبكفّ نفسك عن الفواحش، وعن المحرّمات، تعبد الله ـ مخلصاً له الدين. فالعبادة لا تكفي وحدها، بل لابد معها من الإخلاص.





الأصل الأول: معرفة الله ﷻ

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ [١]؟ فَقُلْ: رَبِّيَ اللهُ [٢] الَّذِي رَبَّانِي، وَرَبَّى جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعَمِهِ [٣] وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفَاتِحَة: ٢] وكل ما سوى الله عالم، وأنا واحد من ذلك العالم[٤]».



[١] الرب في اللغة يطلق علىٰ الحافظ الراعي وعلىٰ الخالق المربي، والرب يطلق علىٰ المالك والسيد والمدبر والقيم والمنعم(١).

والمصنف رَحِمَهُ اللَّهُ فسر الرب هنا بكلمتين: الخالق والمعبود، وهذا تعريف الرب عند الإطلاق فإنه يدخل فيه معنى الألوهية، وهذا بإجماع السلف. كما أن كلمة الرب

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث (٢/ ١٧٩).

عند الإطلاق: معناه الخالق المعبود، أما عند الاقتران فتتضمن قاعدة: «إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا»، أي: إذا قيل لك: من ربك؟ فهو يعني الخالق المعبود، وكذلك «الله» إذا مرت عليك وحدها، لكن لو اجتمعتا في سياق واحد «الله والرب»، فهنا يختلف المعنى، فيُعرَّف، فتُعرف «الرب» بالخالق، ويُعرَّف اسم «الله» بالمعبود، فعند الافتراق يتسع، وعند الاجتماع يضيق.

[٢] أصل «الله»: «الإله»[(١)]، سُهّلت الهمزة، ثم التقت اللام واللام فشددتا، ومعناه كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: «ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين»، والألوهية معناها: العبادة، فهو الذي تألهه وتعبده القلوب محبةً وإجلالاً، وخوفا ورجاءً وتعظيماً، وهو أعرف المعارف، وهو من أسمائه سبحانه وتعالى التي لا يُسمى به غيره. فاسم «الله» عَلَمٌ علىٰ الذات المقدّسة المعبود بحق، ولا يُسمى به غير الرّب سبحانه وتعالى، ولم يتسمَّ بهذا الاسم أحد أبداً، حتى الجبابرة، حتى الطواغيت والكفرة، ما أحدٌ منهم سمّى نفسه «الله» أبداً، فرعون قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٤﴾ [النَّازعَات: ٢٤] ولم يقل: «أنا الله».

(١) انظر: لسان العرب (١٣/ ٣٦٧).

❁ **أسماء الله ﷻ قسمان:**

١- **قسم خاص به:** لا يسمى به غيره مثل الله، رب العالمين، خالق الخلق، مالك الملك، القابض الباسط، والخافض الرافع، النافع الضار، المعطي المانع. ومن هذا النوع: الرحمن، ولهذا لما تسمى مسيلمة الكذاب بالرحمن لزم ولصق به وصف الكذب، فلا يطلق مسيلمة إلا ويوصم بالكذب؛ لأنه تسمى بالرحمن ـ قبحه الله ـ وهو كذاب.

٢- **قسم مشترَك:** يُطلق علىٰ الله ﷻ وعلىٰ غيره، وإذا سُمَّي الله به فله الكمال، وإذا سُمّي المخلوق فله منه ما يُناسبه، مثل: الرحيم، والسميع، والبصير، والعليم، والقدير، والحي، كل هذه أسماء مشتركة، ومنها: «المَلِك»، فهو من أسماء الله، كما أنه يُسمى به المَلِكُ من ملوك الدنيا، لكن مُلك الله كامل ومُلك المخلوق ناقص، ومسبوق بالعدم، ويلحقه العدم أيضاً وذلك بالزوال.

وكذلك أيضاً: «الحي»، من أسماء الله، والمخلوق حي، والله له الحياة الكاملة، والمخلوق له حياة تناسبه، حياته ضعيفة يلحقها النوم والموت والضعف والفساد، لكن حياة الله كاملة.

[٣] **تربية الله للخلق نوعان:**

١- **تربية عامة:** تشمل المؤمن والكافر، فالله ـ تعالىٰ ـ ربى جميع الخَلق بنعمه، خلق المؤمن والكافر،

ورزقهم، وأعطاهم السمع والأبصار، والأفئدة، وأنعم عليهم بالنعم، وأدرّ عليهم الأرزاق.

٢- **تربية خاصة**: خاصة بالمؤمن؛ وهي تربيته بالإيمان، والعمل الصالح، بأن وفقه الله وهداه، وهدى قلبه وجعله يقبل الحق ويرضاه ويختاره، ويُؤثره علىٰ غيره، هذه نعمة دينية خص الله بها المؤمن دون الكافر، فجعله يحب الإيمان، وزيّنه في قلبه، وجعله يكره الكفر والفسوق والعصيان، وجعله راشداً، كما قال ﷻ: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ﴾ [الحُجرَات: ٧-٨].

[٤] فهذا هو الدليل على أن الله هو الرب وهو المستحق للعبادة، (أل) في قوله: ﴿ٱلۡحَمۡدُ﴾ للاستغراق، فجميع أنواع المحامد لله، ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفَاتِحَة: ٢] أي: مربيهم جميعهم، خالقهم وموجدهم والمنعم عليهم.

من هم العالمون؟

الجواب: قال المؤلف رحمه الله: «**كل ما سوى الله عالم، وأنا واحد من ذلك العالم**» أنا وأنت من ذلك العالم، والسماوات عالم، والأرضون عالم، والجن

عالم، والإنس عالم، والملائكة عالم، والأشجار عالم، والبحار عالم، وكل ما سوى الله عالم، وهذه العوالم كلها ـ العلوي منها والسفلي ـ ربها هو الله، ويدل على هذا قول موسى عليه السلام لما سأله فرعون: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ٢٣-٢٤] وقد جاء عن مجاهد والحسن وقتادة أن العالم جميع المخلوقات(١)، ونقل القرطبي قول قتادة بأنهم كل ما سوى الله(٢)، وعن الزجاج من أهل اللغة: كلُ مَا خلق الله(٣)، وجاء بهذا المعنى في كلام شيخ الإسلام ابن تيمية(٤)، وابن كثير أيضا(٥)، وأما العالمين في قوله ﷻ: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ [الفُرقان: ١] فالمراد الإنس والجن، فكلمة ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ لها في القرآن إطلاقات، كما أن لكلمة الأمة في القرآن إطلاقات.



(١) تفسير البغوي (١/ ٥٢).
(٢) تفسير القرطبي (١/ ١٣٨).
(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٦).
(٤) تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٤/ ١٦٨، ٣٩٧)، ودرء تعارض العقل والنقل (١/ ١٢٥).
(٥) تفسير ابن كثير (١/ ١٣١).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«فَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟

فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ، وَمِنْ آيَاتِهِ: اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ[١] السَّمٰوَاتُ السَّبْعُ والأَرَضُونَ السَّبْعُ ومَنْ فِيهِنَّ وَمَا بَيْنَهُمَا؛ والدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [فُصِّلَت: ٣٧]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا[٢] وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ[٣] أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤] [٤]».

الشَّرْح

[١] لأن الله تعالىٰ أعطاك السمع والبصر والعقل، يشاهد هذه الآيات، ويراها، فهي دليل عليه، كما قال الشاعر[(١)]:

وفي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ … تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ الْوَاحِدُ

(١) هو: أبو العتاهية، والبيت في ديوانه (١/ ٤٥).

[٢] يعني: يغطي الليل والنهار بعضهما، فإذا انتهى النهار جاء الليل وغطاه، وإذا انتهى الليل جاء النهار وأزاله، فالليل يطلب النهار، والنهار يطلب الليل، ﴿حَثِيثًا﴾ أي: سريعاً.

[٣] أي: سخرها الله ـ بأمره، فالشمس سخرها ـ فهي كل يوم تشرق من الشرق، وتغرب من الغرب، والقمر كذلك مسخر، من أول الشهر يخرج دقيقاً صغيراً ضعيفاً، ثم لا يزال ينمو؛ حتي يكتمل نموه في منتصف الشهر، ثم يضعف.

وهكذا مَثُل الإنسان؛ يبدأ طفلاً، ثم شاباً، ثم شيخاً، ثم هَرِماً، ثم يموت، كالقمر.

[٤] هذه الآية فيها: دليل علىٰ معرفة الله بآياته ومخلوقاته.



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَالرَّبُ هُوَ المعْبُودُ [١]، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ [٢] ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا[٣] وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البَقَرَة: ٢١-٢٢].

قَالَ ابْنُ كَثِير ـ رحمه الله تَعَالَى ـ: الخالِقُ لِهذِهِ الأَشْيَاءِ هُوَ المُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ(١)».



[١] والرب هو المعبود، فمعنى قوله: ﴿رَبَّكُمُ﴾ أي: معبودكم، وهو المستحق للعبادة، لأنه هو الذي ربى العباد بنعمه، خلقهم وأوجدهم فهو المعبود بالحق.

[٢] هذه أول آية في القرآن فيها الأمر بالتوحيد.

[٣] هذا هو النهي عن الشرك، ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ١٠٤) ونصه: «أَنَّهُ الْخَالِقُ الرَّازِقُ مَالِكُ الدَّارِ وَسَاكِنِيهَا وَرَازِقُهُمْ، فَبِهَذَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يُعْبَدَ وَحْدَهُ وَلَا يُشْرَكَ بِهِ غَيْرُهُ».

أَنـدَادًا﴾ [البَقَرَة: ٢٢] أي: فلا تجعلوا له أمثالاً ونُظراء لله تصرفون لهم العبادة.



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا مِثْلُ:[١] الإِسْلامِ[٢]، وَالإِيمَانِ[٣]، وَالإِحْسَانِ[٤]، وَمِنْهُ [٥]: الدُّعَاءُ [٦]، وَالخوْفُ[٧]، وَالرَّجَاءُ [٨]، وَالتَّوَكُّلُ [٩]، وَالرَّغْبَةُ[١٠]، وَالرَّهْبَةُ[١١]، وَالخُشُوعُ[١٢]، وَالْخَشْيَةُ[١٣]، وَالإِنَابَةُ[١٤]».

الشَّرْح

[١] وهذا من فضل الله علىٰ عباده أن شرع لهم أنواعاً عديدةً من العبادات يتقربون بها إليه، والمرء لا يعلم بأيها يدخل الجنة.

الأمر نوعان:

- الأول: أمرَ إيجاب: كإقام الصلاة، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، فلا يجوز صرف الصلاة إلا لله، فإذا صلى لغير الله أشرك.

- الثاني: أمر استحباب: كأمره ﷺ بالسواك، كما في قوله: «**لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي أَوْ عَلَى النَّاسِ لَأَمَرْتُهُمْ**

بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلَاةٍ»(١)؛ فالسواك عبادة مندوبة، يتسوّك تعبداً لله ﷻ، فلا تصرف تعبداً لغير الله ﷻ.

● **النهي نوعان:**

- الأول: نهي تحريم: كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ﴾ [الإسرَاء: ٣٢]، فأنت تبتعد عن الزنا، خوفاً من الله وتعظيماً له، وطمعاً في ثوابه وخوفا من عقابه، وتكون عابداً لله في هذا، بكف نفسك عن الزنا.

- الثاني: نهي تنزيه: كالنهي عن الحديث بعد العشاء، فهذا نهي للكراهة، فإذا تركت الحديث بعد العشاء ممتثلاً لأمر النبي ﷺ فأنت تعبد الله بذلك.

[٢] الإسلام هو: الاستسلام لله تعالىٰ بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والتبرؤ من الشرك وأهله.

[٣] الإيمان هو: تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح، وكل هذه الأعمال داخلة في مسمى الإيمان.

[٤] الإحسان هو: أن تعبد الله علىٰ المراقبة، كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

[٥] يعني: من أنواع العبادات التي أمر الله بها.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجمعة، بَابُ السِّوَاكِ يَوْمَ الجُمُعَةِ، رقم (٨٨٧)، ومسلم: كتاب الطهارة، باب السواك، رقم (٢٥٢).

[٦] مثل قولك: يا أرحم الراحمين.

[٧] وهو خوف العبادة، خوف السر.

- أما الخوف الطبيعي: كخوف الإنسان من السَّبُع والنار والغرق، فهذا لا يلام عليه العبد، قال الله ﷻ عن موسى ﵇: ﴿فَأَصۡبَحَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُ﴾ [القَصَص: ١٨] لكن إذا كان هذا الخوف سبباً لترك واجبٍ أو فعل محرم كان حراماً؛ لأن ما كان سبباً لترك واجب أو فعل محرم فهو حرام، ودليل ذلك قوله ﷻ: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٧٥﴾ [آل عِمرَان: ١٧٥] فالخوف منه ما يكون محموداً، ومنه ما يكون غير محمودٍ.

[٨] المراد بالرجاء: رجاء العبادة، وهو رجاء السر ـ رجاء من ليس معه أسباب ـ كأن يرجو الميت أن يُدخِله الجنة وأن يُنجيه من النار، هذا هو رجاء العبادة. أما الرجاء العادي كأن يقول لحي قادر: «أرجوك أن تساعدني»، فليس مرادًا للمؤلف ﵀.

[٩] التوكل هو: الاعتماد علىٰ الله، فهو ﷻ مسبِّبُ الأسباب.

[١٠] المراد: الرغبة إلىٰ الله، وإلىٰ ما عنده من الثواب.

[١١] المراد: الخوف من الله ومن عذابه.

[١٢] الخشوع هو: الطمأنينة، يقال: هذا محل خاشع، أي: مطمئن، ومنخفض عن غيره، ويأتي الخشوع في استعمالات كثيرة بمعنى السكون وغيره.

[١٣] الخشية هي: خوف مع عِلم، فهي أخص من الخوف، فالخشية قسم من الخوف، فهي الخوف الخاصة.

[١٤] الإنابة هي: الرجوع إلىٰ الله، وترك المعاصي.



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَالاسْتِعَانَةُ[١]، والاستعاذة[٢] وَالاسْتِغَاثَةُ[٣]، وَالذَّبْحُ[٤]، وَالنَّذْرُ[٥]، وَغَيْرُ ذَلَكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الَّتي أَمَرَ اللهُ بِهَا.

كُلُّهَا لله تَعَالَى[٦]».



[١] الاستعانة هي: طلب العون.

[٢] المراد بالاستعاذة: طلب الإعاذة ـ أي: الحماية ـ من مكروه سواء كان المستعاذ منه عدواً بشراً أو شيطاناً.

[٣] الاستغاثة هي: الدعاء من المكروب، فالاستغاثة نوع من لادعاء فهي أخص.

[٤] الذبح هو: إزهاق الروح بإراقة الدم علىٰ وجه مخصوص، **ويقع علىٰ وجوه:**

- **الأول**: أن يقع عبادة، بأن يقصد به تعظيم المذبوح له والتذلل له والتقرب إليه، فهذا لا يكون إلا لله، علىٰ الوجه الذي شرعه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وصَرْفُه لغير الله شرك أكبر، وسيأتي دليله.

- **الثاني**: أن يقع إكراماً لضيف أو وليمةً لعرس أو نحو ذلك، فهذا مأمور به إمَّا وجوباً أو استحباباً؛ لقوله ﷺ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ**»(١).

وقوله ﷺ لعبدالرحمن بن عوف: «**أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ**»(٢).

- **الثالث**: أن يقع علىٰ وجه التمتع بالأكل أو الاتجار به، ونحو ذلك فهذا من قسم المباح، فالأصل فيه الإباحة؛ لقوله سبحانه وتعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [يس: ٧١-٧٢].

وقد يكون مطلوباً ـ كالأضحية والهدي والعقيقة ـ أو منهياً عنه حسبما يكون وسيلة له.

[٥] النذر هو: إلزام الإنسان نفسه عبادة لم يلزم بها بأصل الشرع، كأن يقول: «لله علي إن شفى الله مريضي أن أصوم له ـ أي: لله ـ خمسة أيام متتاليات» فهذا نذر.

- هذه أربعةَ عشرَ نوعاً من العبادة، ذكرها المؤلف

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، بَابُ: مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلَا يُؤْذِي جَارَهُ، رقم (٦٠١٨)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الحث علىٰ إكرام الجار والضيف، رقم (٤٧).

(٢) أخرجه البخاري : كتاب النكاح، باب الصفرة للمتزوج، رقم (٥١٥٣)، ومسلم : كتاب النكاح، باب الصداق وجواز كونه تعليم القرآن وخاتمًا من حديد، رقم (١٤٢٧).

رَحِمَهُ اللَّهُ على سبيل التمثيل للعبادات لا الحصر.

[٦] أي: كل هذه العبادات تصرف له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وحده، فإذا صرف الدعاء أو الذبح أو النذر أو الاستعانة أو الاستغاثة لغير الله وقع في الشرك.



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«والدَّلِيلُ [١]: قَوْلُهُ تعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجنّ: ١٨] فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئاً لِغَيْرِ الله؛ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ[٢].

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ [٣] ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون: ١١٧].

وَفِي الحدِيثِ: «الدُّعَاءُ مخ الْعِبَادَةِ»(١)[٤]».

الشَّرْحُ

[١] أي: الدليل علىٰ أن العبادة حق الله، وأن من صرفها لغير الله وقع في الشرك والكفر.

[٢] أي: الشرك الأكبر، والكفر المخرج عن الملة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَإِنَّ الْمُسْلِمِينَ مُتَّفِقُونَ عَلَى مَا عَلِمُوهُ بِالِاضْطِرَارِ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ أَنَّ الْعَبْدَ لَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَعْبُدَ وَلَا يَدْعُوَ وَلَا يَسْتَغِيثَ وَلَا يَتَوَكَّلَ إِلَّا عَلَى اللهِ، وَأَنَّ مَنْ عَبَدَ مَلَكًا مُقَرَّبًا أَوْ نَبِيًّا مُرْسَلًا أَوْ دَعَاهُ

---

(١) أخرجه الترمذي: أبواب الدعوات، رقم (٣٣٧١) وقال: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ.

أَوْ اسْتَغَاثَ بِهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ»[(١)].

[٣] فحَكَمَ الله ﷻ عليه بالكفر، فمن دعا غير الله فهو كافر مشرك.

وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ۝١٤﴾ [فَاطِر: ١٣-١٤] فسمى الله ﷻ الدعاء هنا شركاً في قوله: ﴿بِشِرۡكِكُمۡۚ﴾.

[٤] ومخ الشيء لبُّه وخلاصته وما يقوم به، ومعناه: أن العبادة لا تقوم إلا بالدعاء، كما أن الإنسان لا يقوم إلا بالمخ؛ لدلالته علىٰ الإقبال علىٰ الله ﷻ والإعراض عما سواه.

وهذا الحديث: يدل علىٰ منزلة الدعاء من بين أنواع العبادة، وهو حديث ضعيف، لكن معناه صحيح، والصحيح حديث: «**الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ**»[(٢)].



(١) مجموع الفتاوى: (٣/ ٢٧٢).

(٢) أخرجه أبو داود: أبواب فضائل القرآن، باب الدعاء، رقم (١٤٧٩)، والترمذي: أبواب تفسير القرآن، بَابُ: وَمِنْ سُورَةِ البَقَرَةِ، رقم (٢٩٦٩) وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وابن ماجه: كتاب الدعاء، باب فضل الدعاء، رقم (٣٨٢٨).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠][١]».

الشَّرْح

[١] والشاهد أنه سمى الدعاء عبادة، والدعاء المأمور به في الآية هو: دعاء العبادة، ودعاء المسألة.

فإذا كان دعاءَ عبادة: فإن استجابته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هي الإثابة من الله عليه.

وإذا كان دعاء مسألة: فاستجابته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حصول مقصود الداعي والإثابة عليه أيضاً؛ لأن كل من دعا ولو كان دعاؤه بأمر دنيوي فإنه يثاب علىٰ دعائه، وهذا مُحَقَّقٌ لكل داعٍ.

فإذا سأل الله عَزَّوَجَلَّ فإن استجابة الله له تكون: بإثابته عليه.

وقد رُوي عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**إِنَّهُ مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ**»[١].

(١) أخرجه الترمذي: أبواب الدعوات، رقم (٣٣٧٣).

وأما حصول مطلوبه: فهذا قد يحصل وقد لا يحصل، بناءً علىٰ حكمة الله ﷻ في تحقيق مطلوب العبد أو ادخار ذلك له في الآخرة أو دفع شرٍ عنه نظير ما دعا أو مثلما دعا كما جاء في الحديث: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قالَ: «**ما مِن مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيها إِثْمٌ، ولا قَطِيعَةُ رَحِمٍ، إلّا أعْطاهُ اللَّهُ بِها إحْدى ثَلاثٍ: إمّا أنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وإمّا أنْ يَدَّخِرَها لَهُ فِي الآخِرَةِ، وإمّا أنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَها**»(١).



(١) أخرجه أحمد (١١١٣٣)، وصححه ابن باز كما في مجموع فتاويه (٩/ ٣٥٣).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«ودَلِيلُ الخوْفِ[١] قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ[٢] إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عِمرَان: ١٧٥]».

الشَّرح

[١] المراد ـ كما سبق ـ: خوف العبادة، كأن يخاف من صاحب القبر، يخاف منه أن يحرمه دخول الجنة، أو يخاف أن يُدخله النار، أو يخاف أن يسلّط عليه عدواً في سره لا بسبب ظاهر.

أما الخوف من العدو الذي أمامك ومعه السلاح، وكذلك من السباع، فهذا خوف طبيعي.

[٢] قال الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالىٰ: ﴿وَخَافُونِ﴾: فَافْعَلُوا مَا آمُرُكُمْ بِهِ، وَاتْرُكُوا مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ، لِأَنِّي الْحَقِيقُ بِالْخَوْفِ مِنِّي، وَالْمُرَاقَبَةِ لِأَمْرِي وَنَهْيِي، لِكَوْنِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ بِيَدِي[(١)].

وقد كان الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أشد الخلق خوفاً من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قال نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ

(١) انظر: فتح القدير (١/ ٤٥٩).

إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝٥٩﴾ [الأعراف: ٥٩].

وقال شعيب عليه السلام لقومه: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۚ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ۝٨٤﴾ [هُود: ٨٤].

وقال النبي ﷺ: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝١٥ مَّن يُصۡرَفۡ عَنۡهُ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمَهُۥۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ۝١٦﴾ [الأنعام: ١٥-١٦].

وقد كان النبي ﷺ يصلي ولصدره أزيزٌ كأزيز المرجل من البكاء[(١)]. أي: كصوت الإناء إذا غلا فيه الماء.

- فكلما كان العبد بالله أعلم كان له أخوف، قال ابن مسعود رضي الله عنه: «كَفَى بِخَشْيَةِ اللهِ عِلْمًا، وَكَفَى بِاغْتِرَارٍ بِاللهِ جَهْلًا»[(٢)]، ونقصان الخوف من الله إنما هو لنقصان معرفة العبد ربه، فأعرف الناس أخشاهم لله، ومن عرف الله اشتد حياؤه منه وخوفه وحبه له، وكلما ازداد معرفةً ازداد حياءً وخوفاً وحباً، وعلىٰ قدر العلم والمعرفة يكون

(١) أخرجه أبو داود، أَبْوَابُ تَفْرِيعِ اسْتِفْتَاحِ الصَّلَاةِ، بَابُ الْبُكَاءِ فِي الصَّلَاةِ، رقم (٩٠٤)، والنسائي: كتاب السهو، بَابُ الْبُكَاءِ فِي الصَّلَاةِ، رقم (١٢١٤).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٩/ ١٨٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٣٢).

الخوف والخشية، كما قال النبي ﷺ: «**لأناَ أَعْلَمُهُمْ بالله وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً**»(١).

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الْخَوْفُ مِنْ اللَّهِ يَسْتَلْزِمُ الْعِلْمَ بِهِ؛ فَالْعِلْمُ بِهِ يَسْتَلْزِمُ خَشْيَتَهُ وَخَشْيَتُهُ تَسْتَلْزِمُ طَاعَتَهُ»(٢).

- والخوف منه عَزَّ وَجَلَّ من أسباب صلاح القلب، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فَمَا حُفِظَتْ حُدُودُ اللهِ وَمَحَارِمُهُ وَوَصَلَ الْوَاصِلُونَ إلَيْهِ بِمِثْلِ خَوْفِهِ وَرَجَائِهِ وَمَحَبَّتِهِ، فَمَتَى خَلَا الْقَلْبُ مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثِ فَسَدَ فَسَادًا لَا يُرْجَى صَلَاحُهُ أَبَدًا وَمَتَى ضَعُفَ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ ضَعُفَ إيمَانُهُ بِحَسَبِهِ»(٣) وهذه الثلاث هي أركان العبادة: المحبة وهو الراس، فإذا قطع الرأس ذهب، فمن لم يحب الله فهو كافر.



(١) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، بَابُ مَنْ لَمْ يُوَاجِهِ النَّاسَ بِالعِتَابِ، رقم (٦١٠١)، ومسلم: كتاب الفضائل، باب علمه ﷺ بالله تعالىٰ وشدة خشيته، رقم (٢٣٥٦).

(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٢٤).

(٣) مجموع الفتاوى (١٥/ ٢١).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ[١] قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾[٢]».

الشَّرح

[١] الرجاء معناه: السعي إلىٰ الشيء مع ميل النفس إلىٰ حصوله، فالرجاء بهذا المعنى ـ إذا قصد الإنسان به التقرب إلىٰ الله ـ كان من مراضيه، فإذا كان من مراضيه ومحابه كان عبادة؛ لأن العبادة: اسمٌ جامع لما يحبه الله ويرضاه، ومن ثَم لابد من تجريد عبادة الرجاء لله سبحانه وتعالى.

[٢] من صرف العبادة لغير الله أشرك، كأن يرجو الميت أن يُدخِله الجنة، ويرجوه أن لا يُدخله النار.

أما الرجاء العادي كأن يقول: "أرجوك أن تساعدني، أو أن تقرضني، أو أن تساعدني في إصلاح سيارتي" فهذا جائز.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠]، والشاهد قوله: ﴿يَرْجُوا﴾.

۞ الفرق بين الرجاء والتمني:

الرجاء يكون مع بذل الجهد في حصول وحسن التوكل، أما التمني فيكون مع الكسل بدون فعل الأسباب.

قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ﴾ [الإسراء: ٥٧] ابْتِغَاءُ الْوَسِيلَةِ إِلَيْهِ: طَلَبُ الْقُرْبِ مِنْهُ بِالْمحبة والعُبُودِيَّةِ بالطاعة وأنواع القربات[١].

فالواجب علىٰ العبد أن يحقق رجاءه فلا يعلقه إلا بالله ﷻ، لا يعلقه بقوته ولا بعمله ولا يعلقه بمخلوق. ومن المأثور عن علي رضي الله عنه أنه قال: «**لَا يَرْجُو عَبْدٌ إِلَّا رَبَّهُ، وَلَا يَخَافَنَّ إِلَّا ذَنْبَهُ**»[٢].

۞ اقتران الخوف والرجاء:

الخوف والرجاء يسيران بالمؤمن كجناحي الطائر، فإن الطائر له جناحان فإذا استقاما استقام طيرانه، وإذا سقط أحد الجناحين سقط وهو في عداد الموتى، فكذلك المؤمن يسير قلبه بين الخوف والرجاء، فمن سار بالخوف بلا رجاء هلك، لأن المؤمن إذا خاف ولم يرجُ صار خوفه

(١) انظر: مدارج السالكين (٢/ ٣٦).
(٢) أخرجه الدينوري في المجالسة (٣٠٩) وأبو نعيم في الحلية (١/ ٧٥).

يحمله علىٰ سوء الظن بالله، واليأس والقُنوطِ من رَوح الله، وكذلك الرجاء وحده إذا غَلّبه جانبه صار يستصغر المعاصي، ولا يبالي ولا يخاف، لكن المؤمن يخاف لكن خوفه لا يؤدي إلىٰ القنوط ولا إلىٰ اليأس؛ لأنه يرجو إلا أنه رجاءٌ لا يؤدي به إلىٰ استصغار المعاصي.

- فلا بد من اقتران الخوف والرجاء في قلب المؤمن؛ لئلا يفضي به الرجاء إلىٰ الأمن من مكر الله، أويفضي به الخوف إلىٰ القنوط من رحمة الله واليأس من روحه؛ ولهذا قرنت صفات الرّحمة بصفات العقوبة في مواضع كثيرة من القرآن؛ لتورث المؤمن قوّة في الخوف والرّجاء، واعتدالاً بين وعد الله ووعيده، قال ﷻ: ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر: ٤٩-٥٠]، وقال ﷻ: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٦﴾﴾ [الرّعد: ٦] ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمُۢ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأنعام: ١٦٥] ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٩٨﴾﴾ [المَائدة: ٩٨].



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«ودَلِيلُ التَّوَكُّلِ[١] قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ[٢] فَتَوَكَّلُوٓاْ[٣] إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ[٤] ﴿٢٣﴾﴾ [المَائدة: ٢٣]، وقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ [٥]﴾ [الطّلَاق: ٣]».

الشَّرح

[١] التوكل هو: الاعتماد علىٰ الله في حصول النتيجة بعد فعل الأسباب، فاعتماد قلبك علىٰ حصول النتيجة هذا خاص بالله، فتفعل الأسباب التي أمرك الله بها، من طلب الرزق، وأن يكون في يدك مهنة تكتسب منها، تفعل الأسباب ثم تتوكل علىٰ الله في حصول النتيجة؛ وحصول الثمرة والفائدة، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وسرُّ التَّوَكُّل وحَقِيقَته هُوَ اعْتِماد القلب على الله وحده فَلا يضرّهُ مُباشرَة الأَسْباب مَعَ خلو القلب من الِاعْتِماد عَلَيْها والركون إِلَيْها كَما لا يَنْفَعهُ قَوْله توكلت على الله مَعَ اعْتِماده على غَيره وركونه إِلَيْهِ وثقته بِهِ»[١].

[٢] ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ﴾ أي: لا علىٰ غيره، وهذا يفيد

(١) الفوائد (ص: ٨٧).

الحصر والقصر؛ لأن من طرقه عند البلاغيين تقديم ما حقه التأخير، والأصل: توكلوا علىٰ الله.

[٣] ﴿فَتَوَكَّلُوٓاْ﴾ هذا أمر يدل علىٰ وجوب التوكل، أي: اعتمدوا علىٰ الله جل وعلا، وفوضوا أموركم إليه. فدلت الآية علىٰ وجوب التوكل علىٰ الله وحده، وأنه من العبادات التي لا يجوز صرفها لغير الله تعالى.

[٤] ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ أي: إن كنتم مؤمنين بالله جل وعلا فعليه توكلوا؛ فجعل التوكل علىٰ الله شرطاً في الإيمان، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالمُسْلِمُ المُتَّبِعُ لِلرَّسُولِ: اللهُ تَعالى حَسْبُهُ وكافِيهِ وهُوَ ولِيُّهُ حَيْثُ كانَ ومَتى كانَ»[1]، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى انْتِفَاءِ الْإِيمَانِ عِنْدَ انْتِفَاءِ التَّوَكُّلِ. فَمَنْ لَا تَوَكُّلَ لَهُ لَا إِيمَانَ لَهُ»[2].

[٥] ومعنى ﴿حَسۡبُهُۥٓۚ﴾: كافيه؛ ومن كان الله كافيه فلا مطمع لأحدٍ فيه.



(١) مجموع الفتاوى (١٨/ ٢٩٣).

(٢) مدارج السالكين (٢/ ١٢٨).



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ [١]، وَالرَّهْبَةِ [٢]، وَالخُشُوعِ [٣]: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا[٤] وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ۝٩٠﴾ [الأنبياء: ٩٠][٥]».

الشَّرْحُ

[١] الرغبة معناها: السؤال والتضرع والابتهال مع محبة الوصول إلىٰ الشيء المحبوب، فإذا كان يدعو وعنده قوة لحصول مطلوبه فهذه رغبة.

[٢] الرهبة هي الإمعان في الهرب من المكروه ـ كما يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ[١]، فهي خوف مقرون بعمل. قال الراغب الأصفهاني: الرَّهْبة والرَّهْبُ: مخافة مع تحرز واضطراب[٢].

[٣] الخشوع هو: التذلل والتطامن، وهو بمعنى الخضوع، إلا أن الخضوع يغلب أن يكون في البدن،

(١) مدارج السالكين (١/٥٠٨).
(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن (٣٦٦).

والخشوع في القلب أو البصر أو الصوت. قال ﷻ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ [المؤمنون: ١-٢] وقال ﷻ: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ۝١٠٨﴾ [طه: ١٠٨]، وقال ﷻ: ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ﴾ [القلم: ٤٣]، وقال ﷻ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦].

[٤] ﴿رَغَبًا﴾ يعني: رجاءً فيما عند الله. قال ابن القيم رحمه الله: «وَالْفَرْقُ بَيْنَ الرَّغْبَةِ وَالرَّجَاءِ أَنَّ الرَّجَاءَ طَمَعٌ. وَالرَّغْبَةُ طَلَبٌ. فَهِيَ ثَمَرَةُ الرَّجَاءِ. فَإِنَّهُ إِذَا رَجَا الشَّيْءَ طَلَبَهُ. وَالرَّغْبَةُ مِنَ الرَّجَاءِ كَالْهَرَبِ مِنَ الْخَوْفِ»(١).

[٥] هذه الآية دلت علىٰ ثلاثة أنواع من العبادة كما تبين ذكره، فالرغب والرهَب والخشوع خاص بالله، لا يرغب إنسانٌ إلا لله، ولا يرهب إلا منه، والمراد بالرغَب والرهب هنا رغب ورهب العبادة.

- والرغبة والرهبة لا تقومان إلا علىٰ ساق الصبر، فرهبة العبد تحمله علىٰ الصبر، ورغبته تقوده إلىٰ الشكر، وعبادتا الرغبة والرهبة تنحسران عن العبد بقدر ذنوبه، وتزيدان بزيادة إيمانه، ويناله التوفيق ـ بإذن الله ـ بقدر تلك العبادة، قال ابن القيم رحمه الله: «إذا أراد بعبده خيراً، وفَّقه

(١) مدارج السالكين (٢/ ٥٥).

لاستفراغ وسعه، وبذل جهده في الرغبة والرهبة إليه، فإنهما مادتا التوفيق، فبقدر قيام الرغبة والرهبة في القلب يحصل التوفيق»[(١)].



(١) شفاء العليل (١٠٧).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَدَّلِيلُ الخَشْيَةِ[١]: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ[٢] وَٱخْشَوْنِي﴾ [البَقَرَة: ١٥٠][٣]».

الشَّرْحُ

[١] الخشية بمعنى الخوف، لكن الخشية أخص من الخوف؛ لأن الخشية مقرونة بمعرفة الله تعالىٰ، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُاْ﴾ [فَاطِر: ٢٨] فالخشية خوف مقرون بالعلم بالله ومعرفته، ولهذا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ**»(١).

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الخوف والخشية والخشوع والإخبات والوجل معانيها متقاربة، فالخوف يمنع العبد عن محارم الله، وتشاركه الخشية في ذلك، وتزيد أن خوفه مقرون بمعرفة الله. وأما الخشوع والإخبات والوجل فإنها تنشأ عن الخوف والخشية لله، فيخضع العبد لله ويخبت إلىٰ ربه منيباً إليه بقلبه ويحدث له

(١) أخرجه البخاري: كتاب النكاح، بَابُ التَّرْغِيبِ فِي النِّكَاحِ، رقم (٥٠٦٣)، ومسلم: كتاب الصيام، بَابُ بَيَانِ أَنَّ الْقُبْلَةَ فِي الصَّوْمِ لَيْسَتْ مُحَرَّمَةً عَلَى مَنْ لَمْ تُحَرِّكْ شَهْوَتَهُ، رقم (١١٠٨).

الوجل. وأما الخشوع فهو حضور القلب وقت تلبسه بطاعة الله وسكون ظاهره وباطنه فهذا خشوع خاص. وأما الخشوع الدائم الذي هو وصف خواص المؤمنين فينشأ من كمال معرفة العبد بربه ومراقبته فيستولي ذلك علىٰ القلب كما تستولي المحبة»[(١)].

[٢] أي: لا تخشَوا الناسَ خشية العبادة.

[٣] الشاهد في الآية: أن الإنسان إذا خاف غير الله ـ خوف تعبُّدٍ وتألّه، مستقر بالقلب ـ فإن هذا الخوف من أنواع الشرك؛ لأن الله ﷻ جعله من مقتضيات الإيمان، فمن صرف هذا لغير الله تعالىٰ فليس بمؤمن.



(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن (٢/ ٣٦٢).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَدَلِيلُ الإِنَابَةِ[١]: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾ الآية [الزُّمَر: ٥٤].

وَدَلِيلُ الاسْتِعَانَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ[٢] وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ[٣]﴾ [الفَاتِحَة: ٥] [٤].

وَفِي الحَدِيثِ: «... وإِذاَ اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ[٥]»[١].

الشَّرح

[١] الإنابة هي: الرجوع إلىٰ الله بالتوبة والإخلاص، فالإنابة خاصةٌ بالله، فلا يُنيب الإنسان إلىٰ غير الله من المخلوقين، ولا يتوب إليه ويطلب منه أن يغفر ذنوبه، كما يفعل النصارى؛ فالنصارى يتوبون إلىٰ قسيس فيزعم أنّه يغفر لهم ويعطيهم صكَّ الغفران إلىٰ الجنة، وكذلك بعض الشيعة يرجعون إلىٰ شيوخهم فيزعمون أنهم يغفرون لهم ذنوبهم، وهذا شرك، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا

(١) أخرجه الترمذي: أبواب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، رقم (٢٥١٦)، وقال حديث حسن صحيح.

ﭐللَّهُ﴾ [آل عِمرَان: ١٣٥].

[٢] ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾؛ قدّم الضمير علىٰ الفعل لإفادة الاختصاص، والمعنى: نعبدك يا الله، ولا نعبد غيرك، ونستعين بك ولا نستعين بغيرك، هو معنى: لا إله إلا الله، وهذا مفهوم من تقديم الظرف، لأنه يراد به الاختصاص، فلو قلت: «نعبدك» أو قلت: «نستعينك»، فُقدت ميزة الاختصاص، ولكن لمّا قدّم الضمير ﴿إِيَّاكَ﴾ صار المعنى: إياك نعبد ولا نعبد غيرك، وإياك نستعين ولا نستعين بغيرك.

[٣] فعبادة الاستعانة حقّ الله ﷻ، وكما أن من عبد غير الله وقع في الشرك، كذلك الاستعانة، من استعان بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فقد أشرك.

[٤] وتقديم العبادة علىٰ الاستعانة من باب تقديم العام علىٰ الخاص. واهتماماً بتقديم حقه تعالىٰ علىٰ حق عبده ... وذكر الاستعانة بعد العبادة مع دخولها فيها لاحتياج العبد في جميع عباداته إلىٰ الاستعانة بالله تعالىٰ. فإنه إن لم يُعِنْه الله، لم يحصل له ما يريده من فعل الأوامر واجتناب النواهي، قاله الشيخ عبدالرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1].

[٥] المراد بالاستعانة هنا: استعانة العبادة أيضاً.

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن (١/ ٣٢).

أما الاستعانة في الأمور العادية فلا بأس، كأن تقول يافلان أعني في إصلاح سيارتي، أعني في إصلاح مزرعتي، أعنِّي في قضاء دَيني، فلا بأس ما دام المستعان به حيّاً حاضراً قادراً علىٰ الإعانة، وقد سبق تفصيل الكلام علىٰ هذه المسألة.



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«**وَدَلِيلُ الاسْتِعَاذَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ [الفَلَق: ١].

وَقَوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ [النَّاس: ١] [١]».

الشَّرح

[١] الاستعاذة بحي حاضر فيما يقدر عليه لا بأس به، بأن تقول: يا فلان أعذني من شر أولادك، أعذني من شر لسان زوجتك، إذا كانت سليطة اللسان، لأنه حي حاضر قادر، ولكن من يستعيذ بميّت أو بغائب أو بحي حاضر فيما لا يقدر عليه إلا الله فهذا شرك؛ قال في فتح المجيد: «وقد أجمع العلماء، علىٰ أنه لا تجوز الاستعاذة بغير الله»(١)، وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد نص الأئمة كأحمد وغيره علىٰ أنه لا تجوز الاستعاذة بمخلوق»(٢).



(١) فتح المجيد (١٦٣).
(٢) مجموع الفتاوى (١٥/ ٢٢٧).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَدَلِيلُ الاسْتِغَاثَةِ [١]: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩] [٢]».

الشَّرْح

[١] الاستغاثة هي: دعاء من المكروب ـ الذي وقع في كرب ـ قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «الاستغاثة لا تكون إلا بعد الذعر»[١]. وهي عبادة يُتعبد بها لله، فيما لا يقدر عليه إلا الله.

أما الاستغاثة بحيٍّ حاضر قادر فلا بأَس بها، كأن يستغيث الغريق بسبّاح، فهذا لا بأس به، بخلاف من يستغيث بميّت أو بحي غائب، أو بحيٍّ حاضر فيما لا يقدر عليه إلا الله فهذا شرك.

قال صاحب تيسير العزيز الحميد: «المخلوق يطلب منه مايقدر عليه ويستعاذ به فيه بخلاف ما لا يقدر عليه إلا الله فلا يستعاذ فيه إلا بالله»[٢].

الفرق بين الاستغاثة والاستعاذة:

الاستعاذة تطلب منه أن يعصمك وأن يمنعك وأن

(١) بدائع الفوائد (١/ ٦٠).

(٢) تيسير العزيز الحميد (١٧٢).

يحصنك، والاستغاثة تطلب منه أن يزيل ما فيك من شدة، وهذا لا يكون إلا لله ﷻ القادر علىٰ كل شيء.

- والاستغاثة كالاستعاذة تتضمن كمالَ الافتقار إلىٰ الله ﷻ واعتقاد كفايته.

[٢] هذه الآية نزلت في غزوة بدر الكبرى. وكان المشركون أكثر من المسلمين ثلاث مرات، فالمسلمون بقيادة النبي ﷺ توجهوا إلىٰ الله بأن يمدهم بالنصر وأن يخلصهم من هذا الموقف الذي هم فيه. وقد ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر نظر النبي ﷺ إلىٰ أصحابه وهم ثلاثمائة ونيف، ونظر إلىٰ المشركين فإذا هم ألف وزيادة ـ وفي روايات أخرى: أنهم بين الألف والتسعمائة ـ فاستقبل النبي ﷺ القبلة فقال: «**اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ**»، قال: فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ، مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: «يَا نَبِيَّ اللهِ، كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ»[١]. فأنزل الله الآية.

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الجهاد والسير، بَابُ الْإِمْدَادِ بِالْمَلَائِكَةِ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَإِبَاحَةِ الْغَنَائِمِ، رقم (١٧٦٣).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَدَلِيلُ الذَّبْحِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ [١] ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦١-١٦٣].

وَمِنَ السُّنَّةِ: «لعَنَ [٢] اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ»(١).

وَدَلِيلُ النَّذْرِ [٣]: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ [٤] وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾﴾ [الإنسان: ٧]».

الشَّرْحُ

[١] قوله: ﴿وَنُسُكِي﴾ هذا هو الشاهد أيك ذبحي لله رب العالمين، وكذلك قوله ﷻ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾﴾ [الكوثر: ٢] أي: اذبح.

[٢] اللعن هو: الطرد والإبعاد عن رحمة الله، وإنما لعنه ﷺ لأنه مشرك.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الأضاحي، بَابُ تَحْرِيمِ الذَّبْحِ لِغَيْرِ اللهِ تَعَالَى وَلَعْنِ فَاعِلِهِ، رقم (١٩٧٨).

[٣] النذر هو: أن ينذر عبادة لم يوجبها الله فيوجبها علىٰ نفسه، وقد يكون مطلقاً وقد يكون مقيّداً.

فالمطلق: كأن ينذر أن يصلي لله عشرين ركعة، فيجب عليه أن يوفي بنذره، أو ينذر بأن يتصدّق بألفٍ علىٰ الفقراء؛ فيجب عليه أن يفي بنذره ويتصدق إذا كان نذر طاعة، أما إذا كان نذر معصية فلا يجوز له أن يفي بنذره.

وقد يكون النذر مقيّداً، كأن يقول: «إن شفى الله مريضي أو نجح ولدي في الامتحان لأتصدّقن بألف» فإذا نجح ولده أو شفي مريضه فيجب عليه أن يتصدق، أو قال: «إن نجح ولدي أو شفي مريضي لأصليّن لله عشرين ركعة، أو لأذبحن خروفاً وأتصدّق به علىٰ الفقراء». فيجب عليه أن يصلى أو يتصدق إذا تم نذره فتحقق ما علق النذر عليه.

هذا النذر عبادة، وإذا صرفه لغير الله وقع في الشرك، كأن ينذر أن يذبح لصاحب القبر، أو ينذر بأن يصلي لمخلوق.

[٤] النذر في الأصل مكروه؛ لأن الإنسان إذا نذر فإنه يُوجب علىٰ نفسه عبادة لم يُوجبها الله عليه، وقد لا يستطيعها، ولذلك نَهَى ﷺ عَنْ اَلنَّذْرِ وَقَالَ: «**لَا تَنْذُرُوا فَإِنَّ النَّذْرَ لَا يُغْنِى مِنَ الْقَدَرِ شَيْئاً، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ**

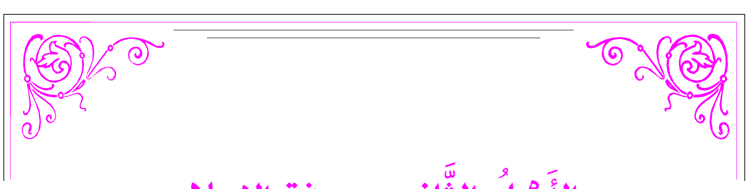
الْبَخِيلِ»[(١)] متفق عليه، ولمسلم: «**إِنَّهُ لَا يَأْتِي بِخَيْرٍ**»[(٢)].

لكن إذا نذر وكان نذر عبادة ثم وفى به فإنه يُمدح عليه، لأن الله تعالىٰ مدح الأبرار فقال: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ۝٧﴾ [الإنسَان: ٧].



(١) أخرجه البخاري: كتاب الأيمان والنذور، بَابُ الوَفَاءِ بِالنَّذْرِ، رقم (٦٦٩٣)، ومسلم واللفظ له: كتاب النذر: بَابُ النَّهْيِ عَنِ النَّذْرِ وَأَنَّهُ لَا يَرُدُّ شَيْئًا، رقم (١٦٤٠).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب النذر، رقم (١٦٣٩).



الأَصْلُ الثَّانِي: معرفة الإسلام

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«الْأَصْلُ الثَّانِي[١] مَعْرِفَةُ دِينِ الإسْلام بِالأدِلَّةِ: وَهُوَ: الاستِسْلامُ لله بِالتَّوْحِيدِ[٢]، وَالانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ، وَهُوَ ثَلاثُ مَرَاتِبَ: الإسْلامُ[٣]، وَالإِيمَانُ[٤]، وَالإحْسَانُ[٥]. وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَها أرْكَانٌ.

فَأَرْكَانُ الإِسْلامِ[٦] خَمْسَةٌ: شَهَادَةُ أَن لا إله إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ الله[٧]، وَإِقَامُ الصَّلاةِ[٨]، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ».



[١] بعد معرفة العبد لربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يأتي الأصل الثاني وهو معرفة الإسلام، فيجب عليك أن تعرف دين الإسلام بالأدلة، وقد عرف المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ الإسلام بأنه: الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله.

[٢] استسلم يعني: انقاد وذلّ وخضع وأطاع، قالوا: «استسلم الجمل لصاحبه»؛ يعني: انقاد، وقاده بزمامه،

والمستسلم هو المنقاد[1]. وأما الذي لا ينقاد فهو الذي يسمى مستكبراً، فالمسلم مستسلم لله، منقاد لشرعه ودينه، والكافر مستنكفٌ، استكبر وأبى أن يعبد الله، فصار مستكبراً.

[٣] المرتبة الأولى: مرتبة الإسلام، وهي: المرنبة الدنيا.

[٤] المرتبة الثانية: مرتبة الإيمان، وهي أعلىٰ منها «الوسطىٰ».

[٥] المرتبة الثالثة: مرتبة الإحسان، وهي أعلىٰ منهما.

ثم شرع المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان أركان كل مرتبة من الثلاث.

[٦] أركان الإسلام ـ كما ذكرها المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ خمسة، وهي الأركان التي يقوم عليها ويستقيم بها، وهناك شرائع أخرى غير هذه الخمس مثل: بر الوالدين، وصلة الأرحام، وأداء الأمانات، وغير ذلك من الواجبات، وكذلك المحرّمات يتركها المسلم، غير هذه الخمس، لكن هذه الخمس هي العُمد التي لا يقوم إلا عليها، ولا يستقيم إلا بها.

(١) انظر: لسان العرب (١٢/ ٢٩٣).

[٧] الركن الأول: الشهادتان: «شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن محمداً عبده ورسوله»، وهذا الركن هو أصل الدين وأساس الملة، وأعظم الأركان، وهو مفتاح دار السلام، فبالشهادتين يدخل المسلم في الإسلام، وعليهما يموت.

[٨] الركن الثاني: «إقام الصلاة»، ولم يقل: فعل الصلاة؛ لأن إقامتها هي أن تعطيها حقها، وليس كل من صلى يكون مقيماً للصلاة، بل يُصلي بعض الناس وهو لا يقيمها، فالمصلون كثير والمقيمون للصلاة قليل؛ وكما أن الركب من الحجاج كثير يقارب ثلاثة ملايين، لكن من يؤدي الحج علىٰ الوجه الصحيح قليل، فأنت ترى المساجد تمتلئ من المصلين، ولكن كم منهم من يقيم الصلاة؟! وذلك بأن يصلي علىٰ الإخلاص، وعلىٰ رغبة ورهبة، ويؤديها بشروطها، وحدودها وقيامها، وركوعها وحضور القلب فيها، ومتابعة الإمام فيها، والطمأنينة فيها، وأدائها في وقتها.



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ[١] قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران: ١٨]. **وَمَعْنَاهَا لا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إلا اللهُ، وَحَدُّ النَّفْيِ مِنْ الإِثْبَاتِ[٢] (لا [٣] إله [٤]) نَافِياً جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ الله، (إلا اللهُ)[٥] مُثْبِتاً الْعِبَادَةَ لله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ [٦] وَتَفْسِيرُهاَ: الَّذِي يُوَضِّحُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ[٧] ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى[٨] فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٨].

وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ[٩] أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا[١٠] وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ[١١] ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: ٦٤]».

الشَّرْح

[١] قرنَ الله شهادةَ العلماء بشهادة الملائكة علىٰ أعظم وأجلّ مشهود به وهو: الشهادة لله بالوحدانية.

[٢] أي: أنها مشتملة على النفي والإثبات. الركن الأول: النفي، في قول (لا إله). الركن الثاني: الإثبات، في قول (إلا الله).

[٣] نافية للجنس، وهي من أخوات (إن) تنصب الاسم.

[٤] «إله»: اسم لا النافية للجنس، ومعنى الإله: المعبود، والخبر محذوف وتقديره: حقٌّ، أي: لا إله حق. وعبارة «لا إله»: هذا هو الكفر بالطاغوت، وهو البراءة من كل معبود سواه، ومن كل عبادة لمن عداه.

[٥] «إلا»: أداة استثناء، وعبارة «إلا الله»: هذا الإيمان بالله.

[٦] «لا إله إلا الله»: كلمة التوحيد، وهي كفرٌ وإيمانٌ، كفرٌ بالطاغوت في قولك: «لا إله»، وإيمانٌ بالله، في قولك: «إلا الله»، قال تعالىٰ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٥٦﴾ [البَقَرَة: ٢٥٦].

[٧] هو معنى «لا إله»، وهو: نفيٌ للشرك.

[٨] هذا الإيمان بالله، إثبات العبادة لله بعد نفيها عما سواه، فنفى وأثبت إبراهيم عليه السلام نفى وأثبت.

[٩] أي: كلمة عدل بيننا وبينكم، وما هي هذه

الكلمة؟ هي:

الجواب: كلمة التوحيد، التي بينها الله تعالى فيما بعد: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [آل عِمرَان: ٦٤].

[١٠] هذا معنى «لا إله إلا الله» نفي وإثبات.

[١١] فإن قبلوا فالحمد لله، وإذا تولوا فكما قال الله: ﴿ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ٦٤﴾ [آل عِمرَان: ٦٤].



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَدليلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ الله: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ[١] حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ [٢] ﴿١٢٨﴾﴾ [التّوبَة: ١٢٨].

وَمَعْنَى شَهَادَة أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ الله: طَاعَتُهُ فِيما أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيما أَخْبَرَ، واجْتِنَابُ مَا نَهى عَنْهُ وَزَجرَ، وأَلا يُعْبَدَ الله إلا بِمَا شَرَعَ [٣].

وَدَلِيلُ الصَّلاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَتَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ [٤] وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البَيِّنَة: ٥].

وَدَلِيلُ الصِّيَام: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ[٥] عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ [البَقَرَة: ١٨٣].

وَدَلِيلُ الحُجِّ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ [٦] ﴿٩٧﴾﴾ [آل عِمرَان: ٩٧]».

الشَّرْحُ

[١] يعني: يشّق عليه ﷺ ما يشّق عليكم.

[٢] أي: حريص علىٰ هدايتكم، ويسعى لكم في النفع بالدنيا والآخرة، فهو بالمؤمنين رءوف رحيم.

[٣] فسر المؤلف معناها بأنها: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع.

أما الذي يَدّعي أنه يشهد أن محمداً رسول الله، وهو لا يصدق أخباره، ولا يُطيع أوامره، ولا يجتنب نواهيه فهذا كاذب، ولا ينفعه قوله.

- وهو ﷺ خاتم الأنبياء والدليل قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزَاب: ٤٠].

[٤] هذا تفسير التوحيد، العبادة مع الإخلاص؛ أن يخلصوا العبادة لله، فيكون العبد لله حنيفاً، مائلاً عن الشرك إلىٰ التوحيد.

[٥] معنى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ﴾ فُرِض عليكم، فهذا الدليل علىٰ فرضية الصيام.

[٦] قوله ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [آل عِمرَان: ٩٧] يفيد الوجوب، فمعناه: أن الله أوجب علىٰ الناس حج البيت.

وهذه أركان الإسلام الخمس بأدلتها.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الإيمَانُ[١]:

وَهُوَ: بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً(١)[٢]».

الشَّرْح

[١] هذه هي المرتبة الثانية من مراتب الدين بعد مرتبة الإسلام، والإيمان هو: تصديقٌ وإقرارٌ بالقلب، وإقرارٌ باللسان، وعملٌ بالقلوب، وبالجوارح، فهو يشمل أربعة أشياء:

١- قول بالقلب، وهو الإقرار والتصديق، فهذا الاعتقاد من الإيمان، وهو قول القلب.

٢- قول باللسان، وهو التلفظ به.

٣- عمل القلوب، من الخشية والخوف، والرغبة، والرهبة، والمحبة، والرجاء.

٤- عمل الجوارح، مثل الصلاة والصيام، والزكاة

(١) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، بَابُ أُمُورِ الإِيمَانِ، رقم (٩)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها، رقم (٣٥).

والحج.

إذاً الإيمان يشمل اعتقاد القلب، ويشمل الإقرار باللسان، ويشمل أعمال القلوب، وأعمال الجوارح، كلها داخلة في مسمى الإيمان.

والإيمانُ ـ كما بينه ﷺ في الحديث ـ هو بضع وسبعون شعبة.

[٢] **البضع**: من ثلاثة إلىٰ تسعة، يعني: من ثلاث وسبعين شعبة إلىٰ تسع وسبعين؛ وهذا العدد مستفاد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي رواه البخاري في صحيحه أنه ﷺ قال: «**الإيمان بضع وستون شعبة**» ورواية مسلم: «**الإيمان بضعٌ وسبعون شعبة**».



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«فأَعْلَاهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا: إِمَاطَةُ الْأَذى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الإِيمانِ [١]، وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ: كما في الحديث: «أَنْ تُؤْمِنَ بِالله، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»(١)[٢].

وَالدَلِيلُ عَلَى هَذِهِ الأَرْكَانِ السِّتَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البَقَرَة: ١٧٧].

ودليل القدر قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القَمَر: ٤٩]».

الشَّرْح

[١] بيّن ﷺ الأعلىٰ والأدنى من شعب الإيمان، فهي شعبٌ متفاوتة؛ بعضها يقرب من بعض، فمثلاً الصلاة شعبة، والزكاة شعبة، والصوم شعبة، والحج شعبة، وبر الوالدين شعبة، وصلة الأرحام شعبة، والأمر بالمعروف

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، بَابُ معرفة الْإِيمَانِ، وَالْإِسْلَامِ، والقَدَرِ وَعَلَامَةِ السَّاعَةِ، رقم (٨).

والنهي عن المنكر شعبة.

وقد ذكر ﷺ «قول لا إله إلا الله» أعلى شعب الإيمان، وهو قول، وذكر أدنى شعبه وهو «إماطة الأذى عن الطريق» شعبة عملية.

والحياء شعبة من الإيمان، وهو شعبةٌ قلبية من أعمال القلوب، فالحياء خُلقٌ داخليٌّ، يبعث صاحبه علىٰ فعل ما يزينه ويجمّله، ويحجزه عن فعل ما يشينه.

[٢] وهذا البيان لأركان الإيمان مأخوذ من حديث جبريل عليه السلام، لما سأل النبي ﷺ عن الإيمان فقال: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»، وهي ستة أركان.

الفرق بين أركان الإسلام وأركان الإيمان:

- أركان الإسلام: الشهادتان، والصلاة والزكاة، والصوم، والحج؛ هذه هي أركان الإسلام، وهي أركانٌ ظاهرة.

- أما أركان الإيمان فأعمالٌ باطنة؛ لا يطلع عليها إلا الله، ومن أتى بأركان الإيمان الباطنة فهو مؤمن؛ ومن أتى بأركان الإسلام الظاهرة ولم يأتِ بأركان الإيمان الباطنة فهو منافق، وفي الدرك الأسفل من النار.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الإِحْسَانُ [١]:

وله رُكْنٌ وَاحِدٌ؛ كما في الحديث: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِن لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»(١)[٢].

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ۝١٢٨﴾[٣] [النحل: ١٢٨].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢١٧ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٢١٩ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٢٢٠﴾ [الشُّعَرَاء: ٢١٧-٢٢٠] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يُونس: ٦١]».

الشَّرْحُ

[١] هذه هي المرتبة الثالثة من مراتب الدين: الإحسان، وله ركنٌ واحدٌ، بينما الإسلام له خمسة أركان،

(١) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان: بَابُ سُؤَالِ جِبْرِيلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الإِيمَانِ، وَالإِسْلَامِ، وَالإِحْسَانِ، وَعِلْمِ السَّاعَةِ، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، رقم (٩).

والإيمان له ستة أركان.

[٢] وهذه هي المراقبة، تعبد الله علىٰ المراقبة، وهذا هو كمال الإيمان.

۞ وهذا الركن له مرتبتان ـ المرتبة الأولى أكبر من الثانية ـ:

- المرتبة الأولى: أن تعبد الله كأنك ترى الله أمامك، فإن ضَعُفت عن هذه المرتبة فتنتقل إلىٰ الثانية.

- المرتبة الثانية: إن لم تكن تراه فإنه يراك، فتعبد الله علىٰ أنه يراك.

فالإنسان الذي يعبد الله علىٰ المشاهدة، هل يمكن أن يرائي في عمله؟!

بالطبع لا يمكن أن يُرائي، فمن يعبدِ الله علىٰ المشاهدة، تجده مخلصاً لله، ولا يلتفت قلبه إلىٰ الناس.

[٣] هذه المعية معية نصر وتأييد، وتوفيق وتسديد؛ **والمعية نوعان:**

- الأولى: المعية العامة: للمؤمن والكافر، فالله مع المؤمن والكافر باطلاعه وإحاطته ونفوذ قدرته ومشيئته: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد: ٤].

- الثانية: المعية الخاصة: بالأنبياء والمؤمنين، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النّحل: ١٢٨]، فهو مع إلا المتقين ومع المحسنين ـ من

الأنبياء والمؤمنين ـ بنصره وتأييده، وتوفيقه وتسديده وهو فوق العرش، قال الله تعالىٰ لموسى وهارون: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ٤٦﴾ [طه: ٤٦] وقال عن نبيه محمد ﷺ لما كان في غار حراء، مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه: ﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ [التوبة: ٤٠].



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ: حَدِيثُ جِبْرِيلَ المُشْهُورُ [١]: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ، شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ [٢] فَجَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ [٣]، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلامِ فَقَالَ: «أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»».

الشَّرْح

[١] هذا الحديث الطويل ـ وهو حديث جبرائيل المشهور ـ رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه مطولاً، رواه الإمام مسلم في صحيحه[١]، ورواه البخاري مختصراً عن أبي هريرة رضي الله عنه[٢].

وفي هذا الحديث بيانُ مراتب الدين الثلاثة: مرتبة

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، رقم (١).

(٢) سبق تخريجه (ص ٩٧).

الإسلام، ومرتبة الإيمان، ومرتبة الإحسان. وقد سبق ذكر المؤلف لأدلتها من القرآن وذكر أدلتها من السنة.

وهذا الحديث حديث عظيم، تلقّاه العلماء بالقبول وشرحوه، ولو شُرح مفصلاً، لأتى شرحه في مجلداتٍ ضخامٍ، لما فيه من العلم الغزير.

[٢] أي : تعجّبنا كيف جاءَ رجلٌ غريبٌ مايعرفه منّا أحدٌ، ورغم ذلك فهو شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، بينما المسافر عندهم في ذلك الزمن ـ حيث المواصلات صعبة كالإبل ونحوها ـ يأتي رثَّ الثياب، منتفش الشعر، وثيابه متسخة ـ فليست كأسفارنا الآن علىٰ الطائرات والسفن والقطارات ـ ولكن هذا رجلٌ مسافر غريب،وليس من أهل البلد، ولا عليه أثر السفر، ـ وهذا الرجل هو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ جاء في صورة رجل ـ لكن الصحابة كانوا لا يعرفونه في ذلك الوقت.

[٣] جلس إلىٰ النبي ﷺ جلسة متأدب، فأسند ركبتيه إلىٰ ركبة النبي ﷺ، ووضع كفّيه علىٰ فخذيه، ثم سأل عن الإسلام والإيمان والإحسان والساعة وأشراطها، وجاء في بعض الألفاظ عن النبي ﷺ قال: «**سَلُونِي، فَهَابُوهُ**»(١)

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، بَابُ الْإِسْلَامِ مَا هُوَ وَبَيَانُ خِصَالِهِ، رقم (١٠).

فأرسل الله جبريل يسأله، حتى يستفيد الصحابة فمن بعدهم.



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«قَالَ: صَدَقْتَ. فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ [١]. قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإيمانِ. قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ». قَالَ صَدَقْتَ. قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِن لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ[٢]. قَالَ: «مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»[٣]. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا[٤]. قَالَ:[٥] «أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا[٦]، وَأَنْ تَرَى الحُفَاةَ [٧] الْعُرَاةَ [٨] الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ [٩] يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ [١٠]»(١).

قَالَ: فَمَضَى، فَلَبِثْتُ مَلِيًّا [١١]، فَقَالَ: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلِ؟» قُلْت: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُم».

الشَّرْحُ

[١] لما حكم علىٰ كلام النبي ﷺ بالصدق، تعجب الصحابة رضي الله عنهم، لأنَّ السائل عادة لا يَعِرف، وهذا يسأل

---

(١) سبق تخريجه (ص ١٠٠).

وهو يعرف الإجابة، ولهذا يُصدِّقه.

[٢] أي: متى تأتي الساعة.

[٣] أي: عِلْمِي وعِلْمُك واحد، ولست بأعلم منك، كما أنك لا تعلم فأنا لا أعلم، ولا يعلمها إلا الله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ [الأعراف: ١٨٧] فالساعة لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى.

[٤] أي: أخبرني عن العلامات التي تدل علىٰ قربها.

[٥] ذكر النبي ﷺ علامتين فقط من علامات اقتراب الساعة، وقد صح عنه ﷺ في غير هذا الحديث كثير من العلامات.

[٦] الأَمَة: العبدة الرقيقة، تلد سيدتها، كيف ذلك؟ قال العلماء: معنى ذلك أن الملوك يَتسرَّون الإماء، يعني تكثر السُراري فيتسرّاها الملوك، فتلد هذه الأمةُ سيدتها، لأنها بنت الملك، فتكون سيدةً علىٰ أمِّها، أو علىٰ غيرها، فكان أن ولدت الأمةُ الرقيقةُ سيدتها، وفي بعض الروايات «**تَلِدَ الأَمَةُ ربها**»[1]، يعني: تكون الأمة تلد ابن الملك، ويكون مِلِكًا مثل أبيه، فيكون سيداً علىٰ أمّه وعلىٰ

(١) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة، رقم (٥٠).

غيره، وهذا في آخر الزمان.

[٧] يعني: أهل البوادي، فهم لا يلبسون النعال في الغالب.

[٨] أي: ثيابهم مشققة، ليسوا مثل أهل المدن.

[٩] يعني: يرعون الغنم، يتحضرون ويتطاولون في البنيان، بعد أن كانوا لا نعال عليهم ولا ثياب، ويرعون الشّياه.

[١٠] أي: سيسكن هؤلاء الحفاة العراة الرعاة المذكورون فيما سبق، المدن، ويبنون العمارات والبنايات، ويتطاولون في البنيان، وهذا من أشراط الساعة.

وهناك أشراط كثيرة، فمنها:

- إماتة الصلاة(١).
- عقوق الوالدين وقطيعة الرحم(٢).

---

(١) كما جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: «**كَيْفَ أَنْتَ إِذَا كَانَتْ عَلَيْكَ أُمَرَاءُ يُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا؟ أَوْ يُمِيتُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا؟**» أخرجه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، بَابُ كَرَاهِيَةِ تَأْخِيرِ الصَّلَاةِ عَنْ وَقْتِهَا الْمُخْتَارِ، وَمَا يَفْعَلُهُ الْمَأْمُومُ إِذَا أَخَّرَهَا الْإِمَامِ، رقم (٦٤٨).

(٢) كما جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: «**وَأَطَاعَ الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ، وَعَقَّ أُمَّهُ، وَبَرَّ صَدِيقَهُ، وَجَفَا أَبَاهُ**»، أخرجه الترمذي: أبواب الفتن، بَابُ مَا جَاءَ فِي عَلَامَةِ حُلُولِ المَسْخِ وَالخَسْفِ، رقم (٢٢١٠)، وقال حديث غريب.

- ظهور المعازف والملهيات[١].

وغيرها الكثير مما لا حصر لها، وهذه أشراط الساعة الصغرى.

وهناك أشراط الساعة الكبرى، تعقب الأشراط الصغرى:

١- خروج المهدي[٢]، وهو رجل من سلالة النبي ﷺ، اسمه كاسم النبي ﷺ، محمد بن عبدالله المهدي.

٢- ثم يخرج في زمنه الدجال، رجلٌ يدعي الصلاح أولاً ثم يدعي النبوة ثم يدعي الربوبية، وهو أعور العين اليمنى.

٣- ثم ينزل عيسى بن مريم ثم يقتله.

٤- ثم يخرج يأجوج ومأجوج في زمن عيسى عليه السلام، وهي العلامة الرابعة فهذه الأربعة متوالية[٣].

---

(١) كما جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: «**لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ، يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ وَالحَرِيرَ، وَالخَمْرَ وَالمَعَازِفَ**» أخرجه البخاري: كتاب الأشربة: بَابُ مَا جَاءَ فِيمَنْ يَسْتَحِلُّ الخَمْرَ وَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، رقم (٥٥٩٠).

(٢) كما جاء في الحديث عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ**» - قَالَ زَائِدَةُ فِي حَدِيثِهِ: «**لَطَوَّلَ اللهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَبْعَثَ فِيهِ رَجُلًا مِنِّي أو مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمُ أَبِي يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا، وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا**» أخرجه أبو داود: كتاب الفتن والملاحم، كتاب المهدي، رقم (٤٢٨٢).

(٣) كما جاء في الحديث عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ، قَالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ، فَقَالَ: «**مَا تَذَاكَرُونَ؟**» قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ، قَالَ: «**إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوا قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ - فَذَكَرَ -** =

٥- ثم تتوالى أشراط الساعة، ومنها الدخان الذي يملأ ما بين السماء والأرض، يصيب المؤمن كهيئة الزكام، والكافر يصيبه منه ألمٌ شديد[(١)].

٦- ومنها: نزع القرآن من المصاحف ومن الصدور إذا ترك الناس العمل به[(٢)].

٧- ومنها: هدم الكعبة في آخر الزمان[(٣)].

= **الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ، وَيَأَجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ**» أخرجه مسلم: كتاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ،بَابٌ فِي الْآيَاتِ الَّتِي تَكُونُ قَبْلَ السَّاعَةِ، رقم (٢٩٠١).

(١) كما جاء عند البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب سورة الروم، رقم (٤٧٧٤): «**يَجِيءُ دُخَانٌ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَأْخُذُ بِأَسْمَاعِ المُنَافِقِينَ وَأَبْصَارِهِمْ، يَأْخُذُ المُؤْمِنَ كَهَيْئَةِ الزُّكَام**».

(٢) كما جاء في الحديث أن قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَدْرُسُ الْإِسْلَامُ كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ، حَتَّى لَا يُدْرَى مَا صِيَامٌ، وَلَا صَلَاةٌ، وَلَا نُسُكٌ، وَلَا صَدَقَةٌ، وَلَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللهِ ﷻ فِي لَيْلَةٍ، فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ، وَتَبْقَى طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْعَجُوزُ، يَقُولُونَ: أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَنَحْنُ نَقُولُهَا**» أخرجه ابن ماجه: كتاب الفتن، بَابُ ذَهَابِ الْقُرْآنِ وَالْعِلْمِ، رقم (٤٠٤٩)، والحاكم: كتاب الفتن والملاحم، رقم (٨٤٦٠)، وقال هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِم.

(٣) كما جاء في الحديث أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**يُبَايَعُ لِرَجُلٍ مَا بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ، وَلَنْ يَسْتَحِلَّ الْبَيْتَ إِلَّا أَهْلُهُ، فَإِذَا اسْتَحَلُّوهُ** =

٨- ومنها: الدابة التي تَسِمُ الناس في وجوههم، فالمؤمن تَسِمُ له سمةً بيضاء، والكافر تسم له سمة سوداء تُسَوّد وجهه(١).

٩- ومن آخرها: طلوع الشمس من مغربها(٢).

١٠- وآخر أشراط الساعة العشر: «نَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدَنٍ، تَسُوقُ النَّاسَ إِلَى الْمَحْشَرِ، إلىٰ أرض الشام،

= **فَلَا تَسْأَلْ عَنْ هَلَكَةِ الْعَرَبِ، ثُمَّ تَأْتِي الْحَبَشَةُ فَيُخَرِّبُونَهُ خَرَابًا لَا يَعْمُرُ بَعْدَهُ أَبَدًا، وَهُمُ الَّذِينَ يَسْتَخْرِجُونَ كَنْزَهُ**» أخرجه أحمد: رقم (٧٩١٠)، والحاكم: كتاب الفتن والملاحم، رقم (٨٣٩٥) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ.

(١) كما جاء في الحديث الذي أخرجه الحاكم: كتاب الفتن والملاحم، رقم (٨٤٩٠) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**فَخَرَجَتْ عَلَيْهِمْ تَنْفُضُ عَنْ رَأْسِهَا التُّرَابَ، فَبَدَتْ بِهِمْ فَجَلَتْ عَنْ وُجُوهِهِمْ حَتَّى تَرَكَتْهَا كَأَنَّهَا الْكَوَاكِبُ الدُّرِّيَّةُ، ثُمَّ وَلَّتْ فِي الْأَرْضِ لَا يُدْرِكُهَا طَالِبٌ وَلَا يُعْجِزُهَا هَارِبٌ حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لِيَتَعَوَّذُ مِنْهَا بِالصَّلَاةِ فَتَأْتِيهِ مِنْ خَلْفِهِ فَتَقُولُ: أَيْ فُلَانُ الْآنَ تُصَلِّي؟ فَيَلْتَفِتُ إِلَيْهَا فَتَسِمُهُ فِي وَجْهِهِ**» هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَهُوَ أَبْيَنُ حَدِيثٍ فِي ذِكْرِ دَابَّةِ الْأَرْضِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ.

(٢) كما جاء في الحديث: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا رَآهَا النَّاسُ آمَنَ مَنْ عَلَيْهَا، فَذَاكَ حِينَ**: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ [الأنعام: ١٥٨]» أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، بَابُ ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾، رقم (٤٦٣٥)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، رقم (١٥٧).

تَبِيتُ مَعَهُمْ إِذَا بَاتُوا، وَتَقِيلُ مَعَهُمْ إِذَا قَالُوا:[1] «ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ رِيحًا كَرِيحِ الْمِسْكِ مَسُّهَا مَسُّ الْحَرِيرِ، فَلَا تَتْرُكُ نَفْسًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا قَبَضَتْهُ، ثُمَّ يَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ عَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ»[2].

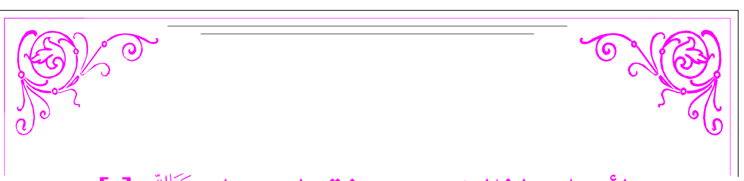
- ولا يخرب هذا العالم إلا إذا خلا من التوحيد والإيمان حينئذ تقوم الساعة.

[١١] وفي لفظ أنه ﷺ قال: «ردوه» فذهبوا فلم يجدوا أحداً، فقال ﷺ: «**يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلِ؟**». قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُم**».



(١) أخرجه ابن ماجه: كتاب الفتن، بَابُ الْآيَاتِ، رقم (٤٠٥٥).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الإمارة، بَابُ قَوْلِهِ ﷺ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ**»، رقم (١٩٢٤).



الأصل الثالث: معرفة الرسول ﷺ [١]

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَهُوَ مُحَمَّدُ[٢] بْنُ عَبْدِاللهِ بْنِ عَبْدِالْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الخَلِيلِ ـ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلامِ ـ»[٣].

الشَّرْحُ

[١] هذا هو الأصل الثالث من الأصول الثلاثة التي يجب على كل مسلم معرفتها، والعمل بها، والدعوة إليها، والصبر على الأذى الذي يناله فيها. والإنسان يُسأل في القبر عن معرفة نبيِّنا محمد ﷺ.

[٢] وللرسول ﷺ أسماء كثيرة، كما جاء عنه ﷺ، أنه قَالَ: «**أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي، الَّذِي يُمْحَى بِيَ الْكُفْرُ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى**

عَقِبِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ وَالْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ»[١].

[٣] هذا نسبه ﷺ وقد ذكر ابن الصابوني[٢] مؤرخ النسب عن نسبه ﷺ، وذكره إلىٰ معد إلىٰ عدنان، وهذا متفق عليه، وهناك أجداد مخُتلفٌ فيها، خمسة أو ستة أجداد وهم مابين عدنان وإسماعيل، مع اتفاقهم أنهم من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل ـ عليهما الصلاة والسلام ـ، فنسبه الشريف معروف، وقريش قبيلة معروفة، وهو نبي هاشمي مطلبي وهاشمُ من قريش، وقريش هي من أشرف القبائل، من ذرية إسماعيل عليه السلام؛ لأن إسماعيل الأب الثاني، والأب الأول إبراهيم عليه السلام، وقبلهما نوحٌ عليه السلام، وقبلهم آدم عليه السلام وآدم هو أبو البشر، ثم نوح الأب الثاني، حمل معه في السفينة من آمن وهم عددٌ قليل، ثم نزلوا،

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، بَابُ مَا جَاءَ فِي أَسْمَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، رقم (٣٥٣٢)، ومسلم: كتاب الفضائل، بَابٌ فِي أَسْمَائِهِ ﷺ، رقم (٢٣٥٤).

(٢) محمد بن علي بن محمود، أبو حامد، جمال الدين المحمودي، ابن الصابوني: من حفاظ الحديث، العارفين برجاله. شيخ الإمام الذهبي، وهومن أهل دمشق،له كتاب (تكملة إكمال الإكمال في الأنساب)، المتوفى في (٦٨٠هـ).

انظر ترجمته في: بغية الطلب في تاريخ حلب، ابن العديم (٣/ ١٠٢٨)، الوافي بالوفيات، الصفدي (٤/ ١٣٤) تاريخ الإسلام، الذهبي (١٥/ ٤٠١).

ولما نزلوا انقرضوا، فبقي أولاد نوح، قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الصَّافات: ٧٧]؛ سام ويافث وحام، ثم بعد ذلك الأب الثالث: إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكل كتاب أنزله الله بعده فهو علىٰ نبي من ذريته ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ [العَنكبوت: ٢٧]، فرزق الله إبراهيم ابنين، الابن الأول إسماعيل، وأمه هاجر؛ التي أخدمها ملك مصر لسارة في ذلك الزمان، فأعتقها إبراهيم فتسرّاها فولدت إسماعيل ومن ذرية إسماعيل نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأما سارةُ فكانت عقيماً ثم رزقها الله إسحاق، بعد إسماعيل بمدة، قالوا بعد اثني عشر عاماً، وكان من سلالة إسحاق يعقوب، وهو إسرائيل، وجميع أنبياء بني إسرائيل من سلالة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، وآخرهم عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأما إسماعيل عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فمن ذريته نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي الحديث ـ وفيه كلام ـ: «أنا ابن الذبيحين» وقال له الأعرابي: (يا ابن الذبيحين)[1].



(١) الأول ذكره الحاكم بلا إسناد (٢/ ٦٠٩)، قال ابن حجر في الكاف الشاف: لم أقف عليه. أما الثاني: فأخرجه الطبري (٢٣/ ٨٥) والحاكم (٤٠٣٦) قال ابن كثير في التفسير (٧/ ٣٥): غريب جدا.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وَلَهُ مِنَ العُمُرِ ثَلاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَثَلاثٌ وَعِشْرُونَ في النبوة[١]. نُبِّئَ بـ﴿ٱقۡرَأۡ﴾، وأُرْسِلَ بـ﴿ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ [٢]».

الشَّرْح

[١] نُبئ ﷺ بعد تمامه الأربعين؛ لأنه الوقت الذي يبلغ الإنسان أشده وقوته، عقلياً وجسمياً، بُعِث علىٰ تمام الأربعين، فمدة النبوة والرسالة ثلاثة وعشرون سنة، وله من العمر ثلاث وستون سنة، وقيل: ستون، وقيل: خمسة وستون، والصحيح الأول.

[٢] فنبأه الله وأنزل: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِی خَلَقَ ۝١﴾ [العَلق: ١] ثم بعد فترة أُرْسِل بسورة: ﴿ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾؛ لأنه جاءه جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في غار حراء وهو يتعبّد ما توارثه عن دين إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ويأخذ ويتزوّد ما يكفيه من الطعام والشراب لليلتين أو ثلاث ليالٍ، ثم يذهب للعبادة في الغار، وجاءه جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ علىٰ صورته وله ستمائة جناح، تملأ ما بين السماء والأرض، فرُعِبَ منه رعباً شديداً، وقال له:

«اقرأ»، **فقال: «ما أنا بقارئ»**، فغطه[١] والمراد ليس الامتناع وإنما الإخبار أنه ليس يعرف القراءة.

حتى بلغ منه الجَهد، فقال له مرة أخرى، اقرأ، وغطَّه المرة الثانية حتى بلغ منه الجهد، كل ذلك والنبي ﷺ يكرر أنه ليس بقارئ، ليس امتناعاً منه ﷺ؛ ولكن لأنه ليس قارئا، ولم يتعلم القراءة، فكان ﷺ أمياًّ لا يقرأ ولا يكتب، وقال العلماء: هذا توطئة لتحمل الرسالة، لأن الرسالة عبء ثقيل، ثم قال في الثالثة: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العَلق: ١-٥].

فرجع يرجُفُ فؤاده من رؤية المَلَك، مذعوراً خائفاً ـ صورة جبريل مرعبة تملأ ما بين السماء والارض ـ، وجاء لزوجته خديجة، فقالت: «كلّا؛ والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتكرم الضيف، وتكسب المعدوم، وتحمل الكلّ[٢]، وتعين علىٰ نوائب[٣] الحق»، هذه خصال حميدة، من اتصف بها لا يخزيه الله أبداً، وبشّرته

(١) الغط: هو العصر الشديد والضم.

(٢) الكل: الثقل من كل ما يتكلف، وقيل: العيال ومن يحتاج إلىٰ رعاية ونفقة.

(٣) النوائب: جمع نائبة وهي ما ينزل بالإنسان من الكوارث والحوادث المؤلمة.

وذهبت به إلىٰ ابن عمها ورقة بن نوفل، وكان رجلاً تنصّر، وكان يقرأ من الكتب العبرانية، فسأله فقال: ما الذي يأتيك؟ فقال: كذا وكذا، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقال: «هذا الناموس الذي كان يأتي موسى، وإنك نبي هذه الأمة، ياليتني أكون جذعاً[(١)] حين يُخرجك قومك»، لأنه شيخ كبير قد طعن في السن، فقال: «**أوَمُخرِجيَّ هم؟**» قال: «نعم، لم يأتِ أحدٌ مثل ما أوتيت به إلا أوذي»، ثم لم ينشب ورقة أن توفي[(٢)].

وجاء في بعض الأحاديث أن النبي ﷺ بشرّه بالجنة؛ لأنه أول من آمن به[(٣)].

ثم بعد مدة قال: «**دثروني، دثروني، زملوني، زملوني**»، وذلك بعد أن جاءه الملك، وقال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣﴾ [المدَّثِّر: ١-٣] فصار رسولاً، فأنذر الناس، وذلك بعد أن فتر الوحي.

---

(١) الجذع: الشاب الفتي القوي الذي يستطيع أن ينصر غيره، ويرفع عنه الظلم.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب بدء الوحي: كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟، رقم (٣)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلىٰ رسول الله ﷺ، رقم (١٦٠).

(٣) أخرجه أحمد (٢٤٣٦٧) والترمذي (٢٢٨٨) وصححه الحاكم (٤/ ٣٩٣) وتعقبه الذهبي وله شاهد عند أبي يعلى (٢٠٤٧) ينظر: طرح التثريب (٤/ ١٩٣) ومجمع الزوائد (٩/ ٤١٦).

• **وبذلك يكون للنبي ﷺ مرحلتان في النبوة والرسالة ذكرهما القرآن الكريم، وهاتان المرحلتان هما:**

- الأولى: مرحلة النبوة، وكانت بتنزيل قوله ﷻ: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ [العَلق: ١] والتي صار بها ﷺ نبياً.

- الثانية: مرحلة الرسالة، وكانت بتنزيل قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢﴾ [المدَّثِّر: ١-٢] فأنذر الناس، وصار ﷺ بنزولها رسولاً.



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَبَلَدُهُ مَكَّةُ، وَهَاجَرَ إِلَى الْمَدِيْنَةِ.

بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، وَبالدَّعْوة إِلَى التَّوْحِيدِ[١]، وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ [٢] ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧﴾ [المدَّثِّر: ١-٧]. وَمَعْنَى: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾: يُنْذرُ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ. ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣﴾ أَيْ: عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ. ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾ أَيْ: طَهِّرْ أَعْمَالَكَ عَنِ الشِّرْكِ[٣]. ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥﴾ وَالرُّجْزَ: الأَصْنَامُ، وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلِهَا، أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنينَ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ[٤]. وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ[٥]».

الشَّرْحُ

[١] وكذلك يدعو ﷺ إلىٰ ما أوجبه الله سبحانه وتعالى من الخصال الحميدة، وينهى عن الشرك، وما نهى الله عنه من الأعمال السيئة، والخصال الذميمة، والدليل علىٰ رسالته ما جاء في سورة المدثر من قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا

تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ﴿٧﴾﴾ [المدَّثِّر: ١-٧].

[٢] ﴿ٱلۡمُدَّثِّرُ ﴿١﴾﴾ يعني: تدثّر بالثياب وتغطى بها.

[٣] والثياب تطلق علىٰ الأعمال، وقيل: طهِّر الثياب من النجاسة، لكن المهم طهارة الأعمال من الشرك، أما تشريع تطهير الثياب من النجاسات فإنما كان في المدينة وهذا في مكة.

[٤] أي: استمر علىٰ هذه الدعوة في مكة عشر سنين، ولم ينزل شيء من الشرائع، لا زكاة، ولا صيام، ولا حج؛ إلا الصلاة، فالمهم هو التوحيد، وهو أصل الدين وأساس الملة، ولا تصح الأعمال إلا بالتوحيد؛ ولأنهم كانوا مشركين في مكة، وكان ﷺ يدعوهم إلىٰ التوحيد طوال فترة إقامته بينهم، وهي عشر سنين، ثم بعد ذلك نزل فرض الصلاة إجمالاً، أما التفاصبل ففي المدينة.

[٥] يقول المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن النبي ﷺ بعد أن قضى بمكة عشر سنين يدعو إلىٰ التوحيد عرج به إلىٰ السماء، يعني قبل الهجرة بثلاث سنين، وقيل: قبلها بسنة، والمؤلف اختار أنه عُرِج به قبل الهجرة ثلاث سنين.

فعُرِج به ﷺ إلىٰ السماء بعدما أُسرِي به من مكة إلىٰ بيت المقدس؛ لأن الإسراء والمعراج في ليلة واحدة علىٰ الصحيح، وأسري به بروحه وجسده، يقظةً لا مناماً.

وقيل: أُسري به مناماً.

وقيل: أُسري بروحه.

وقيل: مرةً يقظة، ومرة مناماً.

وقيل: الإسراء في ليلة والمعراج في ليلة.

والصواب: أن الإسراء والمعراج في ليلةٍ واحدة، مرةً واحدة يقظةً لا مناماً، بروحه وجسده، لقول الله ﷻ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسرَاء: ١] والعبد: اسم للروح والجسد، عُرِج به إلىٰ السماء بعدما أُسري به. وأسري به بالبُراق؛ بصحبة جبريل عليه السلام.

والبُراق: دابة، فوق الحمار ودون البغل، أكبر من الحمار وأصغر من البغل، ركبه جبريل عليه السلام ومحمد ﷺ من مكة، سافر به إلىٰ بيت المقدس في الشام، وهذا البراق خَطْوُه مَدُّ البصر ـ يعني: الخطوة الواحدة هي نهاية البصر ـ، والمسافة التي بين مكة والشام كانوا يقطعونها في شهر في ذلك الزمن علىٰ الإبل، قطعه في مدة وجيزة ما يُقارب ـ والله أعلم ـ ساعة أو ساعة ونصفاً، مثل سرعة الطائرة ـ من باب التقريب والله أعلم بذلك كلِّه ـ، وسمي البراق بذلك لأن فيه بريقاً ولمعاناً، ثم لما وَصَلا إلىٰ بيت المقدس ربط البُراق أي الدابة في حلقة باب بيت

المقدس، وجُمع له الأنبياء فصلى بهم النبي ﷺ إماما - قدمه جبإيل -، ثم أُتي بالمعراج، وهو كهيئة السلم، فصعِدَ فيه جبريل عليه السلام ثم النبي ﷺ من بيت المقدس إلىٰ السماء.

- صعد ﷺ إلىٰ السماء الدنيا: ووجد فيها آدم عليه السلام.

- ثم السماء الثانية: فوجد فيها ابني الخالة يحيى وعيسى عليهما السلام.

- ثم السماء الرابعة: فوجد فيها يوسف عليه السلام.

- ثم السماء الثالثة: فوجد فيها إدريس عليه السلام.

- ثم السماء الخامسة: فوجد فيها هارون عليه السلام.

- ثم السماء السادسة: فوجد فيها موسى عليه السلام.

- ثم السماء السابعة: فوجد فيها إبراهيم عليه السلام.

- وكل سماء محروسة؛ لها حُرّاس، وكل سماء يستفتح جبريل، فيقال: «مَنْ؟» فيقول: «جبريل»، فيقال: «من معك؟» فيقول: «محمد» فيقال: «قد أُرسِل إليه؟» فيقول: «نعم».

وكل واحد من الأنبياء يُرحِّبُ به، ويَقرُّ بنبوته، فآدم عليه السلام قال: «مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح»، وإبراهيم عليه السلام قال: «مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح»، وبقية الأنبياء قالوا: «مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح»، ثم تجاوز إلىٰ سدرة المنتهى بعد السبع

الطِباق، حتى وصل إلىٰ مكان يسمع فيه صريف الأقلام، فكلّمه رب العزة والجلال بدون واسطة، لكنه لم يرَ الله بعين رأسه علىٰ الصحيح، بل كلمه من وراء حجاب، وقيل: رأى الله بعين رأسه، وهو قول مرجوح، **والصواب** أنه رآه بعين قلبه لا بعين رأسه؛ لأنه لا أحد يستطيع أن يرى الله في الدنيا، حتى النبي ﷺ؛ فلو كشف الله ﷻ الحجاب لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ كما في صحيح مسلم[1].

ولما سأل موسى عليه السلام الرؤية: ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكࣰّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقࣰاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٤٣﴾ [الأعراف: ١٤٣].

فلا يستطيع أحد أن يرى الله في الدنيا، ورؤية الله من النعيم الذي ادخره الله ﷻ لأهل الجنة.



(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، رقم (١٧٩).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَواتُ الْخَمْسُ[١] وَصَلَّى فِي مَكَّةَ ثَلاثَ سِنِينَ[٢]، وَبَعْدَهَا أُمِرَ بالْهِجْرَةِ إِلَى «الْمَدِينَةِ»، وَالْهِجْرَةُ الانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الإِسْلامِ[٣]».

الشَّرْحُ

[١] فرض الله عليه خمسين صلاة، فلما وصل إلىٰ السماء السادسة سأله موسى عليه السلام؛ كم فرض ربك؟ قال: «**خمسين صلاة**»، قال: ارجع إلىٰ ربك فاسأله التخفيف عن أمتك، لأن أمتك ضعيفة لا تقبل خمسين صلاة في اليوم والليلة، فاستشار جبريل فأشار إليه أن نعم؛ فعلا به إلىٰ الجبار سبحانه فوضع عشراً، وفي رواية خمساً، خمساً، فجعل يتردد بين ربه وموسى؛ حتى خففها الله إلىٰ خمس صلوات، فأمره موسى أن يخفف عن الخمس؛ فقال: «**إني سألت ربي حتى استحييت ولكني أرضى وأسلم**»، فنادى منادٍ من السماء: إني قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي ما يبدل القول لديّ هي خمس في العدد وخمسون في الأجر والميزان. وهذا يدل علىٰ عظم شأن الصلاة، وفرضت عليه خمس صلوات.

[٢] صلى في مكة وليس هناك صلاة جماعة، أما الأذان وصلاة الجماعة فقد فُرِضَا في المدينة.

[٣] الهجرة هي: الانتقال من بلد الشرك إلىٰ بلد الإسلام، وهي مستمرة إلىٰ قيام الساعة، وأما الهجرة من مكة إلىٰ المدينة فقد انتهت بعد أن فُتِحت مكة وصارت بلد إسلام.



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَالْهِجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بلد الإِسْلامِ، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ. وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ[١] ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ[٢] قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةٗ وَلَا يَهۡتَدُونَ سَبِيلٗا[٣] ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَـٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورٗا ﴿٩٩﴾﴾ [النِّسَاء: ٩٧-٩٩].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَـٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّـٰيَ فَٱعۡبُدُونِ[٤] ﴿٥٦﴾﴾ [العَنكبوت: ٥٦] قَالَ الْبُغَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «نزلت هَذِهِ الآيَةُ فِي الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ بِمَكَّةَ ولَمْ يُهَاجِرُوا، نَادَاهُمُ اللهُ بِاسْمِ الإِيمَانِ».



[١] أي: ولا زالوا مقيمين بين الكفار.

[٢] فهذه مسألة كبيرة توعد الله عليها بالنار.

[٣] استثناهم الله ﷻ لضعفهم وعجزهم عن الهجرة.

[٤] فالمكان الذي لا تستطيع أن تعبد الله فيه: انتقل عنه إلىٰ غيره.



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَالدَّلِيلُ عَلَى الْهِجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ: قَوْلُهُ ﷺ: «لَا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلَا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»(١).

فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي الْمَدِينَةِ أُمِرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإِسْلامِ، مِثل: الزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ، وَالأَذَانِ، وَالْجِهَادِ، وَالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَغَيْرِ ذلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الإِسْلامِ[١]، أَخَذَ عَلَىٰ هذَا عَشْرَ سِنِينَ، وَتُوُفِّيَ - صَلواتُ الله وَسَلامُهُ عَلَيْهِ - وَدِينُهُ بَاقٍ.

وَهَذَا دِينُهُ، لا خَيْرَ إِلا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ وَلا شَرَّ إِلا حَذَّرَهَا مِنْهُ، وَالْخَيْرُ الَّذِي دَلَّهَا عَلَيْهِ التَّوْحِيدُ وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ، وَالشَّرُّ الَّذِي حَذَّرَهَا مِنْهُ الشِّرْكُ وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُ اللهُ وَيَأْبَاهُ، بَعَثَهُ الله في النَّاسِ كَافَّةً[٢]».



[١] كل هذه الشرائع وغيرها فرضت في المدينة.

---

(١) أخرجه أبو داود: كتاب الجهاد، بَابٌ فِي الْهِجْرَةِ هَلِ انْقَطَعَتْ؟، رقم (٢٤٧٩).

[٢] فرسالة النبي ﷺ عامة للثقلين الجن والإنس، فمن قال: «رسالته خاصة لبعض الناس»، أو قال: «إن بعده نبي»، فهو كافر بإجماع المسلمين، قال الله تعالىٰ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وقال ﷻ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال ﷻ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبإ: ٢٨]، وقال ﷻ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [الفرقان: ١].

وقال ﷺ: «**وكان النبي يبعث إلىٰ قومه خاصة، وبُعِثتُ إلىٰ الناس عامة**»[١].. فكل نبي بُعِثَ إلىٰ قومه خاصة، وبعث النبي ﷺ إلىٰ الناس كافة، وبعث إلىٰ الجن كذلك. وهذا من خصائص النبي ﷺ.



(١) أخرجه البخاري: كتاب التيمم، باب التيمم وقول الله تعالى: ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النِّساء: ٤٣]، رقم (٣٣٥)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٥٢١).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَافْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ الْجِنِّ وَالإِنْسِ[١]؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وَكَمَّلَ الله بِهِ الدِّينَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المَائدة: ٣].

وَالدَّلِيلُ عَلَى مَوْتِهِ ﷺ[٢] قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ۝٣١﴾ [الزُّمَر: ٣٠-٣١]».

الشَّرْح

[١] طاعة النبي ﷺ واجبة علىٰ الإنس والجن جميعاً، وهو ﷺ رسول الله إلىٰ العرب والعجم من الجن والإنس، والجن مُكلّفون بالشرائع مثلما كُلِّف الإنس؛ والدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذّاريَات: ٥٦] وفي افتراض طاعته ﷺ على الجن قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ

قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٩]، وقوله تعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [الفُرقان: ١].

[٢] فهو ميّت، ولكنه حيٌّ حياةً برزخية، وجسده الشريف لا تأكله الأرض، طري باقٍ، قال النبي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ ﷻ قَدْ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ** عليهم السلام»(١).

وأما سائر الناس فتبلى أجسادهم، ولا يبقى إلا عجب الذنب آخر فقرة في العمود الفقري، يقول النبي ﷺ: «**كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ إِلَّا عَجْبَ الذَّنَبِ مِنْهُ خُلِقَ وَفِيهِ يُرَكَّبُ**»(٢).

وقد ذكر المؤلف رحمه الله الدليل علىٰ موته ﷺ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠﴾ [الزُّمَر: ٣٠] فبعض الناس يُنازع أنه لم يمت، وكذلك يدل علىٰ موته ﷺ قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ﴾ [آل عِمرَان: ١٤٤].

---

(١) أخرجه أبو داود: أبواب الجمعة، بَابُ فَضْلِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَلَيْلَةِ الْجُمُعَةِ، رقم (١٠٤٧)، والنسائي: كتاب الجمعة، إِكْثَارُ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، رقم (١٣٧٤)، وابن ماجه: كِتَابُ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَالسُّنَّةُ فِيهَا، بَابٌ فِي فَضْلِ الْجُمُعَةِ، رقم (١٠٨٥)، قال الحاكم هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الْبُخَارِيِّ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، بَابُ مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ، رقم (٢٩٥٥).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُواْ يُبْعَثُونَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ [١] [طه: ٥٥]، وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾ [نوح: ١٧-١٨].

وَبَعْدَ الْبَعْثِ مُحَاسَبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴿٣١﴾﴾ [النجم: ٣١][٢].

وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ كَفَرَ [٣]، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [التغابن: ٧] [٤].

وَأَرْسَلَ اللهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ [٥]؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]».



[١] يعني: الأرض، فهذا دليل علىٰ البعث.

[٢] وبعد البعث محاسبون ومجزيون بأعمالهم، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، كما في قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن

يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزّلزَلة: ٧-٨].

[٣] ومن قال كقول الفلاسفة: «الأرواح هي التي تُبعث» فهو كافر.

- فالأرواح باقية، روح المؤمن إذا مات نُقِلت إلىٰ الجنة ولها صلةٌ بالجسد، وروح الكافر تُنقل إلىٰ النار ولها صلة بالجسد، والجسد يَبلى، والأرواح باقية في نعيم أو في عذاب، فلابد من الإيمان ببعث الأجساد. ومن لم يؤمن به فهو كافر.

[٤] ومثله قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ﴾ [سَبَإ: ٣]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ﴾ [يُونس: ٥٣].

[٥] أرسل الله جميع الرسل مبشرين ومنذرين، وهذه وظيفة الرسل، يُبشّرون من أطاعهم ووحّد الله بالجنة، ويُنذرون من عصاهم من النار.

والمؤلف يربط كل مسألة بالدليل، فذكر الدليل علىٰ ذلك. وهو قوله تعالىٰ: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝١٦٥﴾ [النِّسَاء: ١٦٥].

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ [١] وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ؛ وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ أَوَّلَهُمْ نُوحٌ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [النِّسَاء: ١٦٣].

وَكُلُّ أُمة بعث الله إليهم رسولا من نوح إلىٰ محمد يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الله وَحْدَهُ وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النّحل: ٣٦] وَافْتَرَضَ الله عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ الْكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ وَالإِيمَانَ بِاللهِ»[٢].

الشَّرْحُ

[١] نوح أوّل رسول بعثه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إلىٰ الأرض بعد وقوع الشرك، أرسله الله إلىٰ بنيه وغيرهم، لكن سبقه نبيٌّ، وهو آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ كان نبياً لذريته، لكنَّ الشرك لم يقع في زمن آدم؛ بل وقعت المعصية فقط، فقابيل قتل أخاه هابيل.

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟﴾ [يونس: ١٩] قال: كان بين آدم ونوح عشرة قرون، كلهم علىٰ التوحيد، ثم فشا

الشرك في قوم نوح، ومات قومٌ صالحون في زمن نوح، مثل: «ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر» في زمن متقارب، فحزنوا عليهم فصوّروهم ليتذّكروا عبادتهم ليكون تشويقاً لهم، ثم جاء أحفادهم فعبدوهم، كذب عليهم إبليس فقال: «إن آباءكم كانوا يستسقون بهم» فعبدوهم، فأرسل الله نوحاً بعد حدوث الشرك(١).

وكذلك كان آدم نبياًّ إلىٰ بَنيه، وأما نوح فهو نبيٌّ إلىٰ بَنيه وإلىٰ غير بَنيه، وهو أول رسول بعثه الله بعد وقوع الشرك.

[٢] كُلُّ أمةٍ بعث الله إليهم رسولاً من نوح؛ إلىٰ محمد ﷺ، يأمرهم بعبادة الله وحده، وينهاهم عن عبادة الطاغوت والشرك، وهو عبادة غير الله.

والطاغوت كل ما عُبِد من دون الله فهو الطاغوت، فيستثنىٰ من ذلك من لم يرضَ بالعبادة، كالأنبياء ومنهم عيسى وكذلك الصالحون قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النّحل: ٣٦].

والكفرُ بالطاغوت هو: البراءة من كل معبود سوى الله وترك الطواغيت، ومُعاداتها وبُغضها وبغض أهلها،

(١) انظر: تفسير ابن جرير (٢/ ٢٧٥، ٢٣/ ٦٣٩) والدر المنثور (٨/ ٢٩٣-٢٩٥).

فتعتقد بُطلان عبادة غير الله، هذا فرض علىٰ كل مسلم. كما في قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٦] وكلمة التوحيد: ففيها كفرٌ بالطاغوت، وهو «لا إله»، وفيها الإيمان بالله، وهو «إلا الله».



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«قَالَ ابْنُ الْقَيِّم ـ رحمه الله تَعَالَى ـ: «مَعْنَى الطَّاغُوتِ مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ[١] مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتْبُوعٍ أَوْ مُطَاعٍ»(١). وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرُونَ. وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ:

إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ [٢].

وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ[٣].

وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ.

وَمَنْ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ.

وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ.

وَالدَّلِيلُ[٤] قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ [٥] قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ[٦] فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ[٧] لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البَقَرَة: ٢٥٦]».

الشَّرح

[١] حَدُّ أيِّ مخلوقٍ أن يكون عبداً لله، فإذا تجاوز

(١) انظر: إعلام الموقعين (١/ ٤٠).

حدَّه ورضي بأن يُعبد صار طاغوتاً، وكذلك المتبوع إذا رضي أن يُتبع في الباطل تجاوز حده فصار طاغوتاً، وكذلك إذا رضي المخلوق أن يُطاع في معاصي الله صار طاغوتاً.

- فحد أي مخلوق أن يكون: مؤمناً بالله، مطيعاً لله، وعابداً له سبحانه، ومتبعاً طريقة النبي ﷺ.

[٢] الرأس الأول: إبليس ـ لعنة الله عليه ـ، وهو قوّادٌ لكل شر وفتنة.

[٣] الرأس الثاني: من عُبِدَ وهو راضٍ، أي يعبده الناس برضى منه.

[٤] أي: الدليل علىٰ أنه يجب علىٰ الإنسان أن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله.

[٥] قيل: هذا قبل الجهاد، وقيل: نزلت هذه الآية في أهل الكتاب، لأنهم مخيرون بين الإسلام والجزية.

[٦] الرشد هو: دين النبي ﷺ، والغي هو: الكفر، أي وَضَح الإيمان من الكفر.

[٧] العروة الوثقى هي: كلمة التوحيد؛ أي، قد تبين الرشد من الضلال، والإيمان من الكفر، فلا أحد يُكره في الدين، لأن الرشد قد تبين ووضح، فمن يكفر بالطاغوت، فيتبرأ من عبادة غير الله، ويتركها ويبغضها، ويُعاديها ويُعادي أهلها، ويؤمن بالله فهذا هو المؤمن.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَهَذَا هُوَ مَعْنَى «لا اله إلا اللهُ» وَفِي الْحَدِيثِ: «رَأْسُ الأَمْرِ[١] الإِسْلامِ، وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ»(١).

وَاللهُ أَعْلَمُ. وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعلىٰ آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّم.

الشَّرْحُ

[١] أي: رأس الإسلام: التوحيد الذي جاء به النبي ﷺ، والشهادة لله بالوحدانية، والشهادة للنبي ﷺ بالرسالة، وعموده: الصلاة الركن الأعظم، وأعلىٰ شيء فيه: الجهاد في سبيل الله.

وصلى الله وسلم علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

بحمد الله تم

(١) أخرجه الترمذي: أبواب الإيمان، بَابُ مَا جَاءَ فِي حُرْمَةِ الصَّلَاةِ، رقم (٢٦١٦) وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وابن ماجه: كتاب الفتن، بَابُ كَفِّ اللِّسَانِ فِي الْفِتْنَةِ، رقم (٣٩٧٣).

فهرس الموضوعات

الموضوع | رقم الصفحة